

# الإختراف الفكري

مفهوميته - أسبابه - علاجه  
في هدي الكتاب والسنة



د. طه عابدين طه

أستاذ التفسير وعلوم القرآن  
بجامعة أم القرى - بمكة المكرمة



نسخة إلكترونية

.....  
للتواصل مع المؤلف

proftaha11@gmail.com







## ملخص البحث

هدف هذه الدراسة معالجة موضوع الانحراف الفكري، ولتحقيق هذا الهدف استخدم الباحث المنهج الاستقرائي والاستنباطي، وقسم البحث إلى: مقدمة، وخمسة مباحث، وخاتمة.

وقد شملت الحديث عن مفهوم الانحراف الفكري، وتاريخه، والأدلة التي تنهى وتحذر منه، وأسبابه، وهدى القرآن الكريم في معالجته، وقد أظهرت الدراسة خطورة هذا النوع من الانحراف، وضرره على الفرد والجماعة، وأنه قديم في كل أهل الديانات، وظهرت جذوره منذ فجر الإسلام، وهو يكثر في آخر الزمان، والنبى **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أول من تصدى له عندما ظهر في هذه الأمة كما تصدت له الرسل من قبله، وقد تضافرت أدلة الكتاب والسنة التي تنهى وتحذر منه، موضحة لأسبابه، وواضحة للموجّهات الكافية والشافية لعلاجه، وقد كشفت هذه الدراسة عن سبل متعددة لعلاجه؛ بصورة توصل لمجتمع قويم مؤهل لحمل رسالة الإسلام، والدفاع عنه على بصيرة.





## المقدمة

الحمد لله الذي أنزل علينا كتاباً مستقيماً لا عوج فيه، يهدي للتي هي أقوم، وأمرنا بالاستقامة عليه، والصلاة والسلام على الذي استقام على هدي الوحي كما أمر، وعلى آله الطاهرين، وصحبه الطيبين، ومن تبع نهجهم المستقيم إلى يوم البعث والدين.

### أولاً: دواعي البحث

دفعني لدراسة هذا الموضوع أمور عديدة أبرزها ما يلي:

١- كثرة الأدلة التي وردت في النهي عن الانحراف الفكري مما يدل على خطورته، وأهمية التحدث والكتابة عنه، ويوجب على الباحثين والعلماء إظهار الحق الذي أنزله الله في كتابه، وبيّنه لنا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سنته، وأمر الأمة بالتواصي به، وإبراز هذا النوع من الانحراف بصورة واضحة، مؤصلاً تأصيلاً علمياً محكماً، خاصة في ظل ظلمات الفتن، وانعدام نور الحق في بعض العقول، حتى نستطيع من خلال طرحنا العلمي المتوازن أن نقف في وجه كل الدعوات المنحرفة؛ خاصة التي تعمل باسم الإسلام؛ لأنّ الباطل لا ينمو ويتعرع إلا في غياب الحق وانزوائه، وكيف تنزوي أمة نورها للناس كافة، ورسولها أرسله الله رحمة للعالمين، ولذا لا بد من أقلام ترد هذه الأباطيل والشبهات، ونور يكشف هذه الظلمات، وكلمات حق تدمغ هذه الدعوات،

قال تعالى: ﴿بَلْ نَقَّذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٨]، وتفضح وعار هذا الباطل، وتبرز أنوار الحق، ويعلو بنيانه، والقيام بذلك من أبرز واجبات العلماء، والمفكرين والدعاة؛ وذلك لأن هذه الدعوات سهام مسمومة موجهة لجسد هذه الأمة الطاهرة التي هي خير أمة أخرجت للناس إن قامت بالحق، واستقامت عليه، وتواصت به، وهو الواجب المنوط بهم في مواجهة هذا النوع من الانحراف.

٢- الانحراف الفكري أساس علاجه وحماية الأمة من التأثير به؛ يكون بالعلم والفكر القويم أولاً، وبقوة السلاح ثانياً لمن خرج عن الجماعة، وحمل السلاح، واستحلّ الدماء، فإنَّ أمن العقول من الانحراف عن جادة الحق هو السبب الأساس لتحقيق الأمن في كلِّ مجالات الحياة؛ وذلك لأنَّ الانحراف في الفكر يؤدي إلى الانحراف في التصور والسلوك، فيرى صاحبه المنكر معروفاً، والمعروف منكراً، كما وصل الأمر ببعضهم حتى قتلوا عثمان وعلياً - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - وأرضاهما - وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، فتأمين المجتمعات المسلمة من الانحراف الفكري؛ تأمن الجماعة في وحدتها، وأرواحها، وأموالها، وأعراضها ونحو ذلك مما هو نتاج لهذا الانحراف، ونحن في زمان يصعب فيه حصر الأفكار وحجرها في مكان معيّن؛ لأنَّ العالم أصبح متداخلاً ومكشوفاً من خلال القنوات الفضائية، وشبكة الإنترنت، ووسائل الإعلام المتطورة، بما يستدعي عملاً فكرياً تفند من خلاله الأفكار الباطلة، وتواجه شبههم بالحجة الدامغة.

٣- ما يترتب على هذا النوع من الانحراف من مفاسد عظيمة على دين

الفرد؛ فيمرق بسببه من الدين، ويقع في كبائر الذنوب، ويخسر الدنيا والآخرة؛ وهو يحسب أنه يحسن صنعا، خاصة وأنه يغزو الأفراد في أعز فترات حياتهم؛ فترة الشباب، ويستهدف الأمة في أعلى مدّخراتها، والإنسان إذا خسر شبابه خسر عمره، والأمة التي يتحول شبابها للهدم لا للبناء تفقد مقومات النمو والتطور لحاضرها، وعوامل بقائها في مستقبلها، فهو يجعل الشباب عرضة لأفكار هادمة لمسيرة تقدّم الأمة؛ وهي تحاول إعادة مجدها مما يستدعي عملاً واعياً مؤصلاً، متوازناً على أسسٍ علمية وعملية سليمة، قائمة على هدي الكتاب والسنة، ومقتدية بآثار سلف هذه الأمة، ومهتدية بوسطية هذه الأمة التي قال تعالى عنها: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

٤- ما يفرضه الواقع بأحداثه المؤلمة من تكفيرٍ، وتفجيرٍ وتدميرٍ للمنشآت، وسفكٍ للدماء المعصومة، وتعدُّ على الأموال والأعراض، وخروجٍ على الجماعة والحاكم، وتفريقٍ للكلمة، وزعزعةٍ للأمن، وتبديدٍ لجهود الأمة وإمكاناتها وقدراتها، وتشويهٍ لصورة الإسلام والمسلمين، وفتح الباب لعدوها المتربص بها على ضعفها، وذلك بسبب الانحراف الفكري عن الطريق المستقيم، والمؤسف حقاً أن يكون بدعوى الحق والجهاد في سبيل الله؛ مما جعل أمره يأخذ الأولوية من قبل الباحثين، والكتاب، والإعلاميين، وولاية الأمور في كل مكان حتى سنّت له قوانين خاصة في بعض الدول؛ ولذا فلا بد للجميع من التصدي له، وسد ثقبه؛ حتى لا تغرق سفينة المجتمع من خلاله، ونكون بذلك مفاتيح للخير مغاليق للشر، في صف البناء لا الهدم، والوسطية والاستقامة؛ خاصة أهل العلم والفكر والدعوة.



٥- ادّعاء بعضهم التدين والسعي للعبودية الخالصة، والتحرك بدافع الإصلاح ونصرة الدين، ودفع الظلم والجور جعلهم يؤثرون كثيراً في غيرهم، ويعملون بقوة ونشاط لدعوتهم، ولكن دون فهم سليم، فهم من أبناء جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا، وتظهر خطورة هذا النوع من الانحراف أنهم يتناولون على أهل العلم فيشوهون صورتهم، ويصرفون الناس عنهم، وعلى الحكام فيفسدون قلوب العامة عن محبتهم، والالتفاف حولهم، ولا قيمة لمجتمع لا يهتدي بنور علمائه، ولا يلتحم مع قيادته.

٦- أنّهم يؤدون إلى زرع العداوة والبغضاء بين أبناء الأمة الواحدة، وصدّ الناس عن الدين، وشغل الدعاة عن نشر الخير، وعامة الناس يجهلون خطرهم، وبعضهم يرضى فعلهم، ولا يدرك الكثير منهم التحديات التي وقعت وتقع على الأمة من جراء أفعالهم؛ ولذا أصبحوا يدعون إلى باطلهم الذي وضعوه من قبل أنفسهم على أنه الحق والجهاد لإعادة مجد هذه الأمة، ويظهرون للناس الحق الذي أنزله الله بأنه الباطل، مستغلين غفلة بعض أفراد الأمة من جهة، وضعفهم وجهلهم من جهة أخرى، خادعين سفهاء العقول باسم الجهاد، ومحاربة الكفار وأعدائهم، فلاجل هذا كله كان من الضروري حماية أمتنا ومجتمعاتنا وشبابنا من هذه الدعوات المزيفة، وهذا الباطل المزيّن الذي يدعون أن فيه رحمة، وهو يحمل كل صور العذاب.





## ثانياً: مشكلة البحث

لما كانت مسألة «الانحراف الفكري في الدين» هي أكبر مدخل من مداخل الشيطان على الإنسان المتدين، وهي مضادة لكلمتي: «الاستقامة والاعتدال» اللتين هما: وصف القرآن الكريم والسنة المطهرة، وهي تمثل بداية التحول والمروق عن الدين ومنطلقاته وركائزه وموجهاته، الإيمانية والخلقية والفكرية والمنهجية والنفسية، كان لابد من كشف هذا الداء، والوقوف على مسبباته، وكيفية علاجه على هدي القرآن الكريم الذي يهدي للتي هي أقوم، وسنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي تهدي للتي هي أحسن؛ ولذا ينبغي أن يكون هذا الموضوع محل العناية عند علماء الدراسات الشرعية، والتربوية، والدعوية، إذ هو يمثل نقطة البداية للتحول والانحراف عن الإسلام، وزعزعة أمن المجتمع، وتفريق كلمة الجماعة..

وهذا ما تعنتني به هذه الدراسة، فقد كان ضرورياً كشف ما نستطيع أن نصل إليه من معالجات فكرية نابذة من الهدى الرباني المتمثل في نور القرآن، والمبين تفصيلاً في مشكاة النبوة، نستطيع من خلال ما نصل إليه من هدى؛ أن نستفيد منه في حياتنا اليومية لمعالجة هذه الظاهرة والتصدي لها؛ حتى لا يعيد التاريخ نفسه، وتلدغ الأمة من جحرٍ واحدٍ عشرات المرات؛ ولذا تكمن مشكلة البحث في السؤال التالي:

ما هدي القرآن الكريم والسنة النبوية في معالجة الانحراف الفكري؟

### ثالثاً: أسئلة البحث

- ما مفهوم الانحراف الفكري؟
- متى ظهر هذا الانحراف عند المسلمين، ومن أول من تصدى له؟
- ما أبرز الأدلة التي تحذّر وتنهى عنه في الكتاب والسنة؟
- ما الأسباب التي تؤدي إليه؟
- ما هدي القرآن الكريم والسنة المطهرة في معالجته؟

### رابعاً: أهداف البحث

من خلال الإجابة عن أسئلة البحث يمكن تحقيق الأهداف التالية:

- معرفة مفهوم الانحراف الفكري.
- معرفة تاريخ ظهوره، وكيفية مواجهة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له.
- الوقوف على الأدلة الشرعية التي تحذّر وتنهى عنه.
- معرفة الأسباب التي تؤدي لظهوره وانتشاره في كل زمان ومكان.
- معرفة هدي القرآن والسنة في علاجه، ومنع ظهوره وانتشاره.

### خامساً: حدود البحث

تقتصر هذه الدراسة على بيان هدي القرآن الكريم والسنة النبوية في علاج الانحراف الفكري في التدين، بجوانبه المختلفة، من خلال استقراء الآيات القرآنية، والسنة النبوية، وفقه أهل العلم، دون التعرض للأسباب

الأخرى، النفسية، والاجتماعية، والأمنية وغيرها التي يصعب حصرها، وهي خارج موضوع الدراسة، ولأنها قد تختلف من بلد لآخر، ومن بيئة لأخرى، ومن زمان لآخر.

### سادساً: منهج البحث وأدواته

استخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي والاستنباطي، وكانت أدوات تحليل المحتوى لما جاء في كتاب الله **عَزَّوَجَلَّ**، بتتبع الآيات ذات الصلة بالموضوع، ثم تتبع ما جاء في السنة من الأحاديث ذات الصلة بالدراسة، والكتابات التي سطرها علماء التفسير، والحديث، والفقه، وبعض الدراسات الحديثة التي اعتنت بهذا الموضوع بغية الوصول إلى أهداف البحث.

### سابعاً: الدراسات السابقة

هنالك الكثير من الدراسات والمؤلفات العلمية التي تناولت أطراف هذا الموضوع، خاصة نتاج هذا النوع من الانحراف وآثاره، وهي تنقسم إلى:

**أ- بحوث علمية:** وهي قد تناولت هذا الموضوع بصورة عامة لم تتخصص في دراسته من الزاوية التي تناولتها هذه الدراسة، من أهمها: كتاب (الغلو في الدين في حياة المسلم المعاصر) للدكتور عبد الرحمن اللويحق، وكتابه الآخر (مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر)، وهما من أوسع الدراسات في هذا المجال، وكتاب (الوسطية في ضوء الكتاب والسنة) للدكتور ناصر العمر، وكتاب (الوسطية في القرآن) للدكتور علي محمد الصلابي، و(ظاهرة التطرف: الأسباب والعلاج كدراسة اجتماعية) للدكتور

محمد أحمد بيومي، وهنالك بحوث وكتب ورسائل جامعية في التكفير، وطاعة ولاة الأمر، ونحو ذلك من معالجات لتتاج هذا النوع من الانحراف الفكري، أو علاج جزئي له.

**ب- مؤلفات لم تأخذ طابع البحوث العلمية:** وأغلبها متكررة، ومعالجات جزئية وقاصرة، يتفق معنا كل من يقف عليها، ككتاب (حقيقة الإرهاب) لعبد الله بن محمد العمرو، و(موقف الإسلام من الإرهاب) للدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، و(حقيقة موقف الإسلام من التطرف والإرهاب) لسليمان الحقييل، و(حقيقة الغلو في الدين) لعلي عبد العزيز الشبل، و(الغلو في الدين وأثره في الأمة) لخالد حمد الخريف، و(جذور الغلو) للشيخ عبد الرحمن بن محمد الهرفي، و(التطرف الديني) لصلاح صاوي، و(ضوابط تكفير المعين) للدكتور عبد الله بن عبد العزيز الجبرين، و(فتنة التكفير والحاكمية) للشيخ محمد عبد الله الحسين.

### وقد تميزت هذه الدراسة بما يلي:

١- علاج هذه الظاهرة فكرياً من منظور القرآن والسنة، وذلك لأنَّ الباحث لم يقف في حدود علمه وإطلاعه على دراسة مستقلة متخصصة، تناولت هذا الموضوع من خلال الزاوية الفكرية ومنظور الكتاب والسنة، خاصة وأن الانحراف الفكري هو السبب الأساسي لما نتج من تكفير، وتدمير، وتخريب ونحوه، وأساس العلاج يبدأ وينتهي في الفكر، وخير علاج شاف القرآن الكريم، والسنة المطهرة.

٢- حددت أسباب هذا النوع من الانحراف، ووضعت له المعالجات

الأساسية وفق الأدلة الشرعية، وأقوال علماء الأمة، خلافاً لما سلكه بعض الباحثين كما يقول الدكتور عبد الرحمن بن معلا اللويحق: «أخذت على نفسي أن يكون استخراج الأسباب، والآثار، وطرق العلاج؛ نتاجاً لاستقرائي وقراءتي لكتابات الغلاة، والمهتمين بالعلو، وتتبعي لتاريخ جماعات الغلو»<sup>(١)</sup>؛ وذلك لأنَّ أساس المشكلة أزمة في الفهم والفكر الديني.

**٣- جمعت هذه الدراسة بين الأسلوب العلمي، وفق تصور شمولي يشخص الداء، ويصف الدواء الشافي بإذن الله، ويجعل الوقاية هدفاً أصيلاً، ويبيّن الموجهات العملية لواضعي المناهج التعليمية، والبرامج الإعلامية والدعوية، وبصورة يسهل أن يعيها كل مربٍ من خلال ممارسته لعمله التربوي، لأن كثيراً من البحوث تميل إلى التنظير، وتخلو من التصورات والبرامج العملية، كما أنه يعطي تصوراً شمولياً دقيقاً للعلاج، بصورة بعيدة عن الإسهاب أو التعقيد؛ الذي يرهق كاهل الباحثين دعك عن المسلم العادي.**

**٤- جاءت هذه الدراسة بعد بحث وعناء استمر لسنوات حتى تضخم، ثم أصليته بنار الفكر حتى تهذب، واستخرت واستشرت في إخراجه، وها أنا اليوم أقدمه بين خوف ورجاء، سائلاً الله الكريم صدقاً يبلغني مرضاته، وحقاً ينفع الله به عباده، وتوفيقاً يسد كل قطرة من مداي، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، هو حسبي، وعليه توكلتي، وبه ثقفتي، وله حمدي.**

(١) مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر: الأسباب الآثار العلاج (١ / ١٥).

## ثامناً: مصطلحات الدراسة

فهم مصطلحات الدراسة مدخل أساسي مهم، لفهم مقاصد الباحث واتجاهات بحثه، ومن أهم مصطلحات هذه الدراسة ما يلي:

١. **الانحراف**: من الحَرْف، حَرْف كل شيء طرفه وشفيره وحده، والحَرْف هو أحد حروف التهجي، والحَرْف: أيضاً الاسم من قولك رجل مُحارَف بفتح الراء أي: منقوص الحظ لا ينمي له مال، وهو خلاف قولك: مبارك، وقد حورِف كسب فلان إذا شُدّد عليه في معاملته وضيّق في معاشه؛ كأنّه ميل برزقه عنه، من الانحراف عن الشيء وهو الميل عنه، وحَرْف الشيء ناحيته، وفلان على حَرْف من أمره أي ناحية منه، كأنّه ينتظر ويتوقع فإن رأى من ناحية ما يحب وإلا مال إلى غيرها، وقال ابن سيده: (فلان على حَرْف من أمره، أي: ناحية منه؛ إذا رأى شيئاً لا يعجبه عدل عنه، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ [الحج: ١١]، أي: إذا لم ير ما يحب انقلب على وجهه، قيل: هو أن يعبد على السراء دون الضراء)، وقال الزجاج: ﴿عَلَى حَرْفٍ﴾ (على حَرْف أي: على شك، قال: وحقيقته أنه يعبد الله على حَرْف، أي: على طريقة في الدين لا يدخل فيه دخول متمكن، ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ﴾ أي: إن أصابه خصب وكثر ماله وماشيته، اطمأن بما أصابه ورضي بدينه، ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾ اختبار بجذب وقلة مال، ﴿أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾ أي: رجع عن دينه إلى الكفر وعبادة الأوثان)، وروى الأزهري عن أبي الهيثم قال: (أما تسميتهم الحَرْف حَرْفاً: فحَرْف كل شيء ناحيته كحَرْف الجبل والنهر والسيف وغيره)، قال الأزهري: (كأن الخير والخصب ناحية، والضر والشر



والمكروه ناحية أخرى، فهما حَرْفَانِ وَعَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَعْبُدَ خَالِقَهُ عَلَى حَالَتِي السَّرَاءِ وَالضَّرَاءِ، وَمَنْ عَبَدَهُ كَيْفَمَا تَصَرَّفَتْ بِهِ الْحَالُ، فَقَدْ عَبَدَهُ عِبَادَةَ عَبْدٍ مَقْرَبَانَ لَهُ خَالِقًا يَصْرِفُهُ كَيْفَ يَشَاءُ، وَأَنَّهُ إِنْ اِمْتَحَنَهُ بِاللَّأْوَاءِ أَوْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ بِالسَّرَاءِ فَهُوَ فِي ذَلِكَ عَادِلٌ، أَوْ مَتَفَضِّلٌ غَيْرُ ظَالِمٍ وَلَا مَتَعَدٍّ، لَهُ الْخَيْرُ وَبِيَدِهِ الْخَيْرُ، وَلَا خَيْرَةٌ لِلْعَبْدِ عَلَيْهِ، وَقَالَ ابْنُ عَرَفَةَ: (مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ، أَي: عَلَى غَيْرِ طَمَآنِينَةٍ، عَلَى أَمْرٍ، أَي: لَا يَدْخُلُ فِي الدِّينِ دَخُولَ مَتَمَكِّنٍ).

وَحَرْفٌ عَنِ الشَّيْءِ يَحْرَفُ حَرْفًا وَأَنْحَرَفَ وَتَحَرَّفَ وَاحْرَوْرَفَ: مَالٌ وَعَدْلٌ، قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: (وَإِذَا مَالَ الْإِنْسَانُ عَنْ شَيْءٍ، يُقَالُ: تَحَرَّفَ وَأَنْحَرَفَ وَاحْرَوْرَفَ)، وَيُقَالُ انْحَرَفَ مَزَاجُهُ: مَالٌ عَنِ الْاِعْتِدَالِ، وَتَحْرِيفُ الْقَلَمِ: قَطْعُهُ مُحَرَّفًا، وَتَحْرِيفُ الْكَلَامِ عَنِ مَوَاضِعِهِ: تَغْيِيرُهُ، وَالتَّحْرِيفُ فِي الْقُرْآنِ وَالْكَلِمَةِ: تَغْيِيرُ الْحَرْفِ عَنِ مَعْنَاهُ، وَالْكَلِمَةَ عَنِ مَعْنَاهَا، وَهِيَ قَرِيبَةٌ الشَّبْهِ، كَمَا كَانَتِ الْيَهُودُ تَغْيِرُ مَعَانِيَ التَّوْرَةِ بِالْأَشْبَاهِ، فَوَصَفَهُمُ اللَّهُ بِفَعْلِهِمْ فَقَالَ تَعَالَى:

﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء: ٤٦] (١).

والمراد بالانحراف في هذه الدراسة: الميل والعدول عن الصراط المستقيم الذي رسمه القرآن الكريم منهجاً للحياة تسير عليه.

**٢. الفكري:** من فَكَّرَ فِي الْأَمْرِ فَكْرًا، أَعْمَلَ الْعَقْلَ فِيهِ وَرَتَّبَ بَعْضَ مَا يَعْلَمُ لِيَصِلَ بِهِ إِلَى مَجْهُولٍ، وَفَكَّرَ فِي الْأَمْرِ: مَبَالِغَةٌ فِي فَكْرٍ، إِذَا رَدَّدَ قَلْبَهُ مَعْتَبِرًا، وَرَجَلَ فِكْرًا بوزن سَكَيْتٍ: كَثِيرَ التَّفَكُّرِ، وَفَيْكَّرَ: كَثِيرَ الْفِكْرِ، وَالفِكْرُ

(١) ينظر: لسان العرب، مادة (حرف) (٩/٤٢-٤٥)، ومختار الصحاح مادة (حرف) (١/٥٥)، والمعجم الوسيط مادة (حرف) (١/١٦٧).

إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة مجهول، يقال: لي في الأمر فِكْرٌ: نظر وروية، ومالي في الأمر فِكْرٌ: مالي فيه حاجة ولا مبالاة، والتَّفَكُّيرُ: إعمال العقل في مشكلة للتوصل إلى حلها، والتَّفَكَّرُ: التأمل، والاسم: الفِكر والفِكرة، والمصدر: الفِكر بالفتح وبابه نَصْر، قال يعقوب: (يقال: ليس لي في هذا الأمر فِكْرٌ، أي: ليس لي فيه حاجة، قال: والفتح فيه أفصح من الكسر)، والفِكرة: الفِكرُ، والصورة الذهنية لأمر ما، قال سيويه: (ولا يجمع الفِكرُ، ولا العلم، ولا النظر)، وقد حكى ابن دريد في جمعه أفكاراً<sup>(١)</sup>.

والمراد بالفكري في هذه الدراسة: الرؤية والصورة الذهنية لتصور الإسلام في عقل الفرد وتفكيره، سواء كان في الناحية الاعتقادية أو العملية.

**٣. الصراط المستقيم:** قال ابن جرير الطبري: (أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعاً على أن الصراط المستقيم هو: الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه، وكذلك ذلك في لغة جميع العرب.. ثم تستعير العرب الصراط المستقيم فتستعمله في كل قول وعمل وصف باستقامة أو اعوجاج، فتصف المستقيم باستقامته، والمعوجّ باعوجاجه)<sup>(٢)</sup>، زاد القرطبي والقاسمي: (ولا انحراف)<sup>(٣)</sup>، وقد ورد في معنى الصراط المستقيم عدة معاني للسلف متوافقة غير متضادة، من ذلك: قول علي ابن أبي طالب المراد به كتاب الله تعالى، ونقل عن جابر بن عبد الله، وابن عباس، وابن مسعود رضي الله عنهم وغيرهم

(١) ينظر: لسان العرب، مادة (فكر) (٥/٦٥)، ومختار الصحاح، مادة (فكر) (١/٢١٣)، والمعجم الوسيط، مادة (فكر) (١/٦٩٨)، ومعجم مقاييس اللغة، مادة (فكر) (٤٤٦/٤٤).

(٢) ينظر: جامع البيان (١/١٥١).

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (١/١٤٨)، ومحاسن التأويل (١/٢٣٠).

المراد به الإسلام، ونقل عن ابن الحنفية محمد بن علي بن أبي طالب: هو دين الله الذي لا يقبل من العباد غيره<sup>(١)</sup>، قال ابن تيمية: (والصراط المستقيم قد فسّر بالقرآن، وبالإسلام، وطريق العبودية، وكل هذا حق، فهو موصوف بهذا وبغيره، فالقرآن مشتمل على مهمات وأمور دقيقة، ونواهي وأخبار وقصص وغير ذلك، إن لم يهد الله العبد إليها فهو جاهل بها ضال عنها، وكذلك الإسلام وما اشتمل عليه من المكارم والطاعات والخصال المحموده، وكذلك العبادة وما اشتملت عليه)<sup>(٢)</sup>.

والمراد بالصراط المستقيم في هذه الدراسة هو: دين الإسلام الحق المتمثل في التمسك بكتاب الله، واتباع منهج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومنهـاج الخلفاء الأربعة، وكل عبد صالح التزم طريقهم المستقيم اعتقاداً وقولاً وعملاً، ولم ينحرف عن جادة الطريق المستقيم، وهي الكلمة التي تضاد الانحراف، لأن الإنسان في تدينه إما مستقيم، وإما منحرف.

### تاسعاً: هيكل البحث

اشتمل هذا البحث على: مقدمة، وخمسة مباحث، وخاتمة.

المبحث الأول: مفهوم الانحراف الفكري.

المبحث الثاني: بداية الانحراف الفكري وتصدي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له.

المبحث الثالث: النهي عن الانحراف الفكري.

(١) ينظر: جامع البيان (١ / ١٥١ - ١٥٤).

(٢) مجموع الفتاوى (١٤ / ٣٩).

- المبحث الرابع: أسباب الانحراف الفكري.
- المبحث الخامس: علاج الانحراف الفكري.
- الخاتمة: شملت أهم النتائج والتوصيات.
- قائمة المراجع.



## المبحث الأول مفهوم الانحراف الفكري

الأصل في منهج الإسلام القائم على هدي القرآن الكريم والسنة المطهرة الاستقامة والوسطية والاعتدال والعدل، قال تعالى: ﴿وَهَذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَكِّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٦]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وقد جاء عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَطَّ خَطًّا، وَخَطَّ خَطِّينِ عَنِ يَمِينِهِ، وَخَطَّ خَطِّينِ عَنِ يَسَارِهِ، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ فِي الْخَطِّ الْأَوْسَطِ فَقَالَ: (هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ)، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾<sup>(١)</sup>، وجاء في رواية أحمد في المسند عن أبي وائل عن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «خَطَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطًّا بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾، قَالَ: ثُمَّ خَطَّ عَنِ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ ثُمَّ قَالَ: (هَذِهِ السُّبُلُ وَلَيْسَ مِنْهَا سَبِيلٌ إِلَّا عَلَيْهِ شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ) ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾<sup>(٢)</sup>، فهذا الشرح النبوي

(١) أخرجه ابن ماجه في مقدمة السنن، حديث رقم: (١١) وغيره، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١/٨٣) (١١).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم: (٤٢٠٥)، والحاكم في مستدرکه، حديث رقم:



الكريم يوضح منهج الإسلام في كليّاته، بأنّه قائم على الاستقامة، والاعتدال، والتوسط، والعدل، ويهدي للتي هي أقوم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، فهناك فرق بين الإسلام ومبادئه القائمة على العدل والاستقامة، وبين من يتمون إليه وينحرفون عنه، ومن هنا فإنّه لا ينبغي أن يحكم على الإسلام من خلال سلوك بعض أتباعه، وقد فرّق الله في كتابه بين الدين والتدين فقال تعالى: ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ۖ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨ - ٢٩]، فالدين مستقيم، وتدين الناس به يختلف على حسب استقامتهم عليه أو انحرافهم عنه؛ ولهذا فإن ما يصدر من بعض الأفراد من سلوك منحرف لا يجوز نسبه للإسلام كما يريد أعداء الدين؛ ليصدوا الناس عنه، فإنّ الناس في تمسكهم بالإسلام، وسيرهم فيه على ثلاثة أقسام: مستقيم عليه، وغالٍ فيه، وجاف عنه، فالغالي متجاوز، والجافي مفراط، وكلاهما منحرف وعاص، قال ابن قيم الجوزية: (وكلا طرفي قصد الأمور ذميم، وخير الأمور أوسطها، والأخلاق الفاضلة كلها وسط بين طرفي إفراطٍ وتفريط، وكذلك الدين المستقيم وسط بين انحرافين، وكذلك السنة وسط بين بدعتين)<sup>(١)</sup>، وكل من فارق الحق فهو منحرف عنه إما إلى إفراط، وإما إلى تفريط، وكلاهما جائر عن الحق، قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدْنَاكُمْ لَهْدَنَكُمُ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل: ٩]، قال أبو السعود: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ القصد مصدر بمعنى الفاعل، يقال:

(٢٩٣٨)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في التعليقات

الحسان (٤٦/١) (٦).

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص: ١٤٥).



سبيل قَصْدٍ وَقَاصِدٍ، أي: مستقيم.. أي: حق عليه سبحانه وتعالى بموجب رحمته ووعده المحتموم؛ بيان الطريق المستقيم الموصل لمن يسلكه إلى الحق.. وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾ أي: مائل عن الحق منحرف عنه لا يوصل سالكه إليه، وهو طرق الضلال التي لا يكاد يحصى عددها المندرج كلها تحت الجائر<sup>(١)</sup>، والمعتدل المستقيم عليه فائز ناج كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠]، وبقدر استقامة الفرد والجماعة المسلمة على الإسلام تتحقق سعادتهم في الدارين، كما قال تعالى: ﴿وَأَلُو اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِيَنَّهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦]، وأمنهم في الحالين قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، قال الشيخ السعدي: (الأمن من المخاوف والعذاب والشقاء بالهداية إلى الصراط المستقيم)<sup>(٢)</sup>، فكلما انحرف الإنسان عن الصراط المستقيم؛ قرب من المخاوف والشقاء والعذاب بقدر انحرافه.

وقد اعتنى الباحث في هذه الدراسة بالمنحرفين انحرافاً فكرياً سببه التشدد، وهم الغلاة الذين يتجاوزون حدود ما شرع الله، ظناً منهم أن ذلك يقربهم إلى الله، أو لمقاصد أخرى، وذلك لأن أغلب الأدلة التي جاءت في الكتاب والسنة تحدثت عنه، وكذلك لخطر هذا النوع من الانحراف؛ لأن صاحبه يزعم أنه على الحق وغيره على الباطل، ويسعى أن يحمل الناس على

(١) تفسير أبي السعود (٥/ ٩٨ - ٩٩).

(٢) تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: ٢٦٣).

منهجه المعوجّ باللسان والسنان، وأن سمتهم التديّن والإخلاص له حتى يحقر الواحد صلاته إلى صلاتهم، وصيامه إلى صيامهم، وقراءته إلى قراءتهم فينخدع بهم كل من لم يعرفهم.

ومما يعظّم شر هذا النوع من الانحراف أنّه يوصل أصحابه إلى قتل أهل الإسلام، وتفريق كلمتهم، وزعزعة أمنهم، وتبديد جهودهم، ويكفي في إدراك خطرهم أنّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شرع قتالهم وقتلهم، فقال: (فَأَيْنَمَا لَقَيْتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)<sup>(١)</sup>، وأنّ وقائع التاريخ تسجل خطرهم وأضرارهم على الأمة؛ فهم أول من شقّ عصا الطاعة على الجماعة المسلمة في الصدر الأول، واستحل دماءهم، وقتلوا خيارهم المبشرين بالجنة: الخليفة الراشد عثمان وعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وغيرهما من أختيار أصحاب نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والرد على هذه الطوائف المنحرفة لتأكيد مبدأ الاستقامة؛ حتى يفرّق الناس بين التديّن المستقيم القائم على أخذ الدين بقوة، والتمسك بهداه بصدق وجد، كما أنزله الله تعالى، وبين المتشدد فيه، المجاوز حدود ما شرع الله لنا، فالله أمر بالتمسك به، ونهى عن الغلو والتشدد فيه كما قال تعالى: ﴿فَأَسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ **الزخرف: ٤٣**].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب قتل الخوارج والملحدّين بعد إقامة الحجّة، حديث رقم: (٦٤١٨)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب التحريض على قتل الخوارج، حديث رقم: (١٧٧١).

والانحراف الفكري في الدين في مفهومه العام قد يكون كاملاً يمرق بسببه الفرد عن الدين كما في بعض الأمور التي تتعلق بالاعتقاد، وقد يكون انحرافاً جزئياً من خلال إلزام النفس بما لم يلزمها به الشرع، أو تحريم بعض الطيبات ونحو ذلك، وهذا صوره كثيرة، وهو بداية للانحراف الكبير إن لم يجد من يتداركه.



## المبحث الثاني

### بداية الانحراف الفكري وتصدي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له

مما ينبغي أن يعلم أن الانحراف الفكري الذي سببه الغلو والتشدد والتنطع، ومجاوزة الحد الذي شرعه الله لعباده في المعتقد، أو في أنواع العبادات ومقاديرها، أو في أي جانب من التشريع ليس بجديد، وإنما ذلك قديم موجود في الأمم السابقة، وعلى مر الدهور الغابرة، ومنذ فجر الإسلام الأول، وكان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أول من وقف في وجهه، وتصدى له من هذه الأمة، وحذّر من عواقبه، ووضع الأسس والقواعد الكفيلة بعلاجه، فهو أعلم الخلق به، وبخطره على تدين الفرد والجماعة، وأقدر الناس على وضع المعالجات الكفيلة بدحره (فهو فوق كل أحد في العلم والقدرة والإرادة، وهذه الثلاثة يتم بها المقصود، ومن سوى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ إما أن يكون في علمه بها نقص أو فساد، وإما أن لا يكون له إرادة فيما علمه من ذلك، فلم يبينه إما لرغبة، وإما لرهبة، وإما لغرض آخر، وإما أن يكون بيانه ناقصاً ليس بيانه البيان عما عرفه الجنان)<sup>(١)</sup>، وكل الأدلة التي سوف نوردتها في هذا البحث تؤكد هذه الحقائق التي ذكرناها في تصدي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له؛ ووضع العلاج الشافي في معالجته قبل ظهوره وعند ظهوره، سواء كان انحرافاً

(١) مجموع الفتاوى (١٣/١٣٦ - ١٣٧).

كبيراً كانحراف الخوارج، أو انحرافاً يسيراً دافعه الحرص على الخير، والزيادة في العبادة فوق المشروع والمطاق، كما سوف نعرف ذلك من خلال الأدلة التي سوف ترد في ثنايا هذا البحث، ومن هنا كان العلاج المناسب لهذا الانحراف من خلال تلمس الهدى الرباني الذي وضحّه الله - تعالى - لنا في كتابه، وأبرزه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سنته، وهي أدلة كافية وشفافية إذا اهتدت الأمة بها في مناهجها التربوية، وبرامجها الدعوية، والبحث عن معالجات لهذه الظاهرة خارج إطار المنهج القرآني والهدى النبوي، كالباحث عن الماء من خلال السراب.

وكذلك نجد أن هذا النوع من الانحراف تأثيره يختلف من وقت لآخر، وهو ينتشر في آخر الزمان أكثر من أوله، وفي وسط الشباب أكثر من غيرهم، كما جاء في حديث سويد بن غفلة قال علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إذا حدثتكم عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حديثاً فو الله لأن آخر من السماء أحب إلي من أن أكذب عليه، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فإن الحرب خدعة، وإني سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: (سَيَخْرُجُ قَوْمٌ فِي آخِرِ الزَّمَانِ أَحْدَاثِ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ لَا يُجَاوِزُ إِيْمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)<sup>(١)</sup>.



(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة، حديث رقم: (٦٤١٨)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب التحريض على قتل الخوارج، حديث رقم: (١٧٧١).





تضافرت الأدلة الكثيرة في الكتاب والسنة في النهي عن الانحراف الفكري، وبيان ضلاله، وخطره، وفقه التعامل معه، نذكر هنا بعضها، ويرد كثير منها بإذن الله في أثناء البحث، وقد جاء التحذير من الانحراف الفكري في القرآن الكريم والسنة المطهرة بأساليب متنوعة من ذلك:

### ١- الأمر بلزوم الاستقامة وبيان عاقبتها:

قال تعالى: ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: ١١٢]، قال ابن عاشور: (الاستقامة هي العمل بكمال الشريعة؛ بحيث لا ينحرف عنها قيد شبر)<sup>(١)</sup>، فيجب الاعتدال على المنهج القويم دون انحراف، ولما كان الزيادة والطغيان عن الاستقامة هي الأخطر جاء النهي والتحذير منها دون ذكر القصور والتفريط، فالله تعالى يريد من عباده أن يستقيموا على دينه كما أمرهم دون إفراط أو تفريط، فالإفراط والتفريط كلاهما مناقض لمنهج هذا الدين القويم، وقال تعالى في بيان عاقبة الاستقامة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَلَّمُوا فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣]،

(١) تفسير التحرير والتنوير (٦/ ١٧٥).



وقال تعالى: ﴿وَأَلْوِ اسْتَقْلَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِيَنَّهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦].

## ٢- التحذير من تعدي حدود الله وبيان عاقبته:

قال تعالى محذراً من تعدي حدوده وأمرأً بلزومها: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [الطلاق: ١]، قال القرطبي: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ﴾ أي: هذه الأحكام التي بينها أحكام الله على العباد، وقد منع التجاوز عنها، فمن تجاوز فقد ظلم نفسه وأوردها مورد الهلاك<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، قال أبو حيان الأندلسي في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾: (لما نهى عن اعتداء الحدود، وهو تجاوزها، وكان ذلك خطاباً لمن سبق له الخطاب قبل ذلك، أتى بهذه الجملة الشرطية الشاملة لكل فرد ممن يتعدى الحدود، وحكم عليهم أنهم ظالمون، والظلم: هو وضع الشيء في غير موضعه، فشمّل بذلك المخاطبين)<sup>(٢)</sup>، وقد بيّن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عواقب الانحراف الفكري بياناً شافياً من عدة جوانب، من ذلك:

أ- المروق من الدين: عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بَعَثَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْيَمَنِ بِذُهَيْبَةٍ<sup>(٣)</sup> فِي أَدِيمٍ

(١) الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٣٩٠).

(٢) تفسير البحر المحيط (٢/ ٣١٩).

(٣) تصغير ذهبية، فتح الباري (٨/ ٨٥).

مَقْرُوظٌ <sup>(١)</sup> لَمْ تُحْصَلْ مِنْ تُرَابِهَا <sup>(٢)</sup>، قَالَ: فَقَسَمَهَا بَيْنَ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ، بَيْنَ عُمَيْيَةَ بْنِ بَدْرِ، وَأَفْرَعِ بْنِ حَابِسٍ، وَزَيْدِ الْخَيْلِ، وَالرَّابِعِ إِمَّا عَلْقَمَةَ وَإِمَّا عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ <sup>(٣)</sup>: كُنَّا نَحْنُ أَحَقُّ بِهَذَا مِنْ هَؤُلَاءِ، قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: (أَلَا تَأْمُنُونِي وَأَنَا أَمِينٌ مَنْ فِي السَّمَاءِ، يَأْتِينِي خَبْرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً)، قَالَ: فَقَامَ رَجُلٌ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ <sup>(٤)</sup>، مُشْرِفُ الْوَجْتَيْنِ <sup>(٥)</sup>، نَاشِزٌ <sup>(٦)</sup> الْجَبْهَةِ، كَثُ اللَّحْيَةِ، مَحْلُوقُ الرَّأْسِ، مُشَمَّرُ الْإِزَارِ <sup>(٧)</sup>، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اتَّقِ اللَّهَ، قَالَ: (وَيْلَكَ أَوْ لَسْتُ أَحَقَّ أَهْلِ الْأَرْضِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ)، قَالَ: ثُمَّ وَلَّى الرَّجُلُ، قَالَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا أَضْرِبُ عُنُقَهُ، قَالَ: (لَا لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ يُصَلِّيَ)، فَقَالَ خَالِدٌ: وَكَمْ مِنْ مُصَلٍّ يَقُولُ بِلِسَانِهِ مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (إِنِّي لَمْ أَوْمَرْ أَنْ أَنْقَبَ <sup>(٨)</sup> عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ، وَلَا أَشَقَّ بُطُونَهُمْ)، قَالَ: ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِ وَهُوَ مُقَفٌّ فَقَالَ: (إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضَنْضِي <sup>(٩)</sup> هَذَا

(١) أي: مدبوغ نبات القَرَطِ، فتح الباري (٨ / ٨٥).

(٢) أي: لم تخلص من تراب المعدن، فكأنها كانت تيرا، فتح الباري (٨ / ٨٥).

(٣) في رواية سعيد بن مسروق: (فغضبت قريش والأنصار، وقالوا: يعطي صنائيد أهل نجد ويدعنا، فقال: إنما أتألفهم)، فتح الباري (٨ / ٨٦).

(٤) عيناه داخلتان في موضعيهما، وهو ضد الجحوظ، فتح الباري (٨ / ٨٦).

(٥) مشرف: بارز، والوجنتان: العظمتان المشرفتان على الخدين، فتح الباري (٨ / ٨٦).

(٦) ناشز: أي مرتفعها، فتح الباري (٨ / ٨٦).

(٧) والرجل هو: ذو الخويصرة التميمي، فتح الباري (٨ / ٨٦).

(٨) أي: أفتش فيها، فتح الباري (٨ / ٨٧).

(٩) أي: عقبه ونسله، فتح الباري (٨ / ٨٧).

قَوْمٌ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ رَبُّبًا لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ؛ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ <sup>(١)</sup> كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، وَأَظُنُّهُ قَالَ: لَيْنٌ أَدْرَكْتُهُمْ لِأَقْتَلَنَّهُمْ قَتْلَ ثَمُودَ <sup>(٢)</sup>.

**ب - عدم الاستمرار على الهداية:** عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا <sup>(٣)</sup>، وَقَارِبُوا <sup>(٤)</sup>، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ <sup>(٥)</sup>، وَالرَّوْحَةِ <sup>(٦)</sup>، وَشَيْءٍ مِنَ الدَّلْجَةِ <sup>(٧)</sup>) <sup>(٨)</sup>، قال ابن حجر: (الْمَعْنَى لَا يَتَعَمَّقَ أَحَدٌ فِي الْأَعْمَالِ الدِّينِيَّةِ وَيَتْرُكَ الرَّفْقَ إِلَّا عَجَزَ وَانْقَطَعَ فَيُغْلَبُ) <sup>(٩)</sup>، وقد رأينا ورأى الناس عواقب الغلو والتشدد، من ترك الالتزام، وعدم الثبات على الحق، وهذه من دلائل النبوة المشاهدة على مر العصور.

(١) وفسر سعيد بن مسروق الدين: بطاعة الإمام، ورجح ابن حجر العسقلاني الإسلام، أي: الإسلام الكامل، كما صح بذلك حديث مسلم، انظر: فتح الباري (٨ / ٨٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب عليه السلام خالد، حديث رقم: (٤٠٠٤)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، حديث رقم: (١٧٦٣).

(٣) أي: أقصدوا السداد، أي: الصواب، فتح الباري (١٣ / ٣٥٩).

(٤) اقتربوا من السداد والصواب، ولا تفرطوا فتجهدوا أنفسكم في العبادة لئلا يفضي ذلك إلى الملل فتتركوا العمل فتفرطوا، فتح الباري (١٣ / ٣٥٩).

(٥) الغدوة: السير من أول النهار، فتح الباري (١٣ / ٣٦٠).

(٦) الروحة: السير من أول النصف الثاني من النهار، فتح الباري (١٣ / ٣٦٠).

(٧) الدلجة: سير ساعة من الليل، وهو إشارة إلى الرفق في العبادة، فتح الباري (١٣ / ٣٦٠).

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، حديث رقم: (٥٩٨٢) واللفظ له، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى، حديث رقم: (٢٨١٨).

(٩) فتح الباري (١١ / ٣٥٩).

**ج- قتل أهل الإسلام:** وقد جاء في أحد روايات الحديث، فقال: يَا مُحَمَّدُ اتَّقِ اللَّهَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (فَمَنْ يُطِيعُ اللَّهَ إِذَا عَصَيْتُهُ، فَيَأْمُنُنِي عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ وَلَا تَأْمُنُونِي، فَسَأَلَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ قَتْلَهُ؛ أَرَاهُ خَالِدَ بْنِ الْوَلِيدِ فَمَنَعَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا وَلَّى قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ مِنْ ضَيْضِي هَذَا قَوْمًا يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ مَرْوَقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَيَدْعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ، لَيْتَنِي أَدْرَكْتَهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ)<sup>(١)</sup>، وما الأحداث التي نشاهدها ونسمعها من وقت لآخر في ديار المسلمين إلا هي تصديق لهذا.

**د - الهلاك:** عن الأحنف بن قيس عن عبد الله قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ، قَالَهَا ثَلَاثًا)<sup>(٢)</sup>، قال الإمام النووي: (المتنطعون: المتعمقون، المغالون المُجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم)<sup>(٣)</sup>.

**هـ- تنفير الناس عن الدين:** عن أبي مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَيَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنِّي لَأَتَأَخَّرُ عَنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ مِنْ أَجْلِ فُلَانٍ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا، فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَضِبَ فِي مَوْعِظَةٍ قَطُّ أَشَدَّ مِمَّا غَضِبَ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: (تعرج الملائكة والروح إليه)، حديث رقم: (٦٨٨٠)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، حديث رقم: (١٧٦٢).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب ذكر (هلك المتنطعون..)، حديث رقم: (٤٨٢٣).

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (١٦/٢٢٠).

يَوْمِيذٍ، فَقَالَ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ مِنْكُمْ مُنْفَرِينَ، فَأَيُّكُمْ أَمَّ النَّاسَ فَلْيُوجِزْ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِهِ الْكَبِيرَ، وَالضَّعِيفَ، وَذَا الْحَاجَةِ)<sup>(١)</sup>، وذلك لأن التكلف والتنطع من الأمور التي تكرهها النفوس.

**و- تضييع الحقوق الأخرى:** وعن الزهري عن عروة قال: دَخَلَتْ امْرَأَةٌ عُمَانَ بْنَ مَطْعُونٍ أَحْسَبُ اسْمَهَا خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَهِيَ بَادَةٌ الْهَيْئَةِ، فَسَأَلَتْهَا مَا شَأْنُكَ؟، فَقَالَتْ: رَوْجِي يَتَقَوْمُ اللَّيْلِ، وَيَصُومُ النَّهَارَ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَتْ عَائِشَةُ ذَلِكَ لَهُ فَلَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُمَانَ فَقَالَ: (يَا عُمَانُ إِنَّ الرَّهْبَانِيَّةَ لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْنَا أَفَمَا لَكَ فِيَّ أُسْوَةٌ، فَوَاللَّهِ إِنْني أَخْشَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَخْفَظُكُمْ لِحُدُودِهِ)<sup>(٢)</sup>.

### ٣- بيان أن الدين الحق التزام ما شرعه الله، وتجاوزه اعتداء:

قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة: ٨٧]، قال الشوكاني في تفسير هذه الآية: (ثبت أنه لا فضل في ترك شيء مما أحله الله لعباده، وأن الفضل والبر إنما هو في فعل ما ندب الله عباده إليه، وعمل به

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأذان، باب تخفيف الإمام في القيام وإتمام الركوع، حديث رقم: (٦٦١)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام، حديث رقم: (١٧٦٣).

(٢) أخرجه أحمد في المسند، حديث رقم: (٢٤٧٠٦)، وقال صاحب الفتح الرباني: رواه البزار بإسناد رجاله ثقات (٢٣٣/١٦)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٨٧/٤) (١٧٨٢).



رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واتبعه على منهاجه الأئمة الراشدون.. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ تعليل لما قبله، وظاهر أن تحريم كل اعتداء، أي مجاوزة لما شرعه الله في كل أمر من الأمور<sup>(١)</sup>، وقد بين النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك من خلال سنته من ذلك ما جاء عن حميد بن أبي حميد الطويل أنه سمع أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: جَاءَ ثَلَاثَةٌ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَانَتْهُمْ تَقَالُوهَا<sup>(٢)</sup>، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ عُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَا أَنَا فَإِنِّي أَصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أَفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: (أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتَقَاكُمْ لَهُ؛ لَكِنِّي أَصُومُ وَأَفْطِرُ، وَأَصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي)<sup>(٣)</sup>، فهؤلاء أرادوا الزيادة على ما يفعله رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قدوة المؤمنين، فبين لهم أن ذلك انحراف وضلال، وخروج عن سنته.

#### ٤- بيان أن التكلف والزيادة على الشرع خلاف منهج المرسلين:

قال تعالى مخاطباً نبيه الكريم: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦]، قال ابن كثير في قوله تعالى ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾

(١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير (٢ / ٩٩).

(٢) أي: استقلوها، أي: رأى كل منهم أنها قليلة، فتح الباري (٩ / ١٣٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، حديث رقم: (٤٦٧٥)، ومسلم في كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تافت نفسه إليه ووجد مؤنه، واشتغال من عجز عن المؤمن بالصوم، حديث رقم: (٢٤٨٧).

(أي: وما أزيد على ما أرسلني الله به ولا أبتغي زيادة عليه، بل ما أمرت به أديته لا أزيد ولا أنقص منه)<sup>(١)</sup>، ومن هذا الباب جاء نهي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن المغالاة في العبادة، وبين بأنها خلاف ما شرع الله، كما جاء في حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ فَقَالَ: (مَا هَذَا الْحَبْلُ؟)، قَالُوا: هَذَا حَبْلٌ لِرِزْبٍ فَإِذَا فَتَرْت تَعَلَّقْت، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا حُلُوهُ، لِيُصَلَّ أَحَدُكُمْ نَشَاطُهُ فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ)<sup>(٢)</sup>، وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَتْ عِنْدِي امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: (مَنْ هَذِهِ، قُلْتُ فَلَانَةٌ لَا تَنَامُ بِاللَّيْلِ فَذَكَرَ مِنْ صَلَاتِهَا، فَقَالَ: مَهْ عَلَيْكُمْ مَا تُطِيقُونَ مِنَ الْأَعْمَالِ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا)<sup>(٣)</sup>، وعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: بَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَائِمٍ فَسَأَلَ عَنْهُ، فَقَالُوا: أَبُو إِسْرَائِيلَ نَذَرَ أَنْ يَقُومَ وَلَا يَقْعُدَ، وَلَا يَسْتَظِلَّ، وَلَا يَتَكَلَّمَ، وَيُصُومَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مُرُهُ فَلْيَتَكَلَّمْ، وَلْيَسْتَظِلَّ، وَلْيَقْعُدْ، وَلْيَتَمَّ صَوْمَهُ)<sup>(٤)</sup>.

(١) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير (ص: ١١٧٩ - ١١٨٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب ما يكره من التشدد في العبادة، حديث رقم: (١٠٨٢)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب من نعس في صلاته، حديث رقم: (١٣٠٦).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أحب الدين إلى الله عز وجل أدومه، حديث رقم: (٤١)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن، حديث رقم: (١٣٠٨).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان والنذور، باب النذر فيما لا يملك وفي معصية، حديث رقم: (٦٢١٠).

## ٥- تعليم العبد دعاء الله الهداية إلى الصراط المستقيم:

قال تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦-٧]، قال ابن تيمية: (ولما أمرنا الله سبحانه أن نسأله في كل صلاة أن يهدينا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، المغايرين للمغضوب عليهم وللضالين، كان ذلك مما يبين أن العبد يخاف عليه أن ينحرف إلى هذين الطريقين)<sup>(١)</sup>، وفي تكرير هذا الدعاء في كل ركعة تذكيراً بأهمية الاستقامة والاعتدال، ونبذ الغلو والتطرف.

## ٦- التحذير من الغلو من خلال توجيه الخطاب لأهل الكتاب:

قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١]، قال الطبري في تأويل الآية: (لا تجاوزوا الحق في دينكم فتفراطوا فيه.. وأصل الغلو في كل شيء مجاوزة حده الذي هو حده)<sup>(٢)</sup>، قال ابن الجوزي في التفسير: (والغلو الإفراط ومجاوزة الحد، ومنه غلا السعر، وغلو النصارى في عيسى قول بعضهم: هو الله، وقول بعضهم: هو ابن الله، وقول بعضهم: هو ثالث ثلاثة)<sup>(٣)</sup>، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧]، قال ابن كثير: (أي: لا تجاوزوا الحد في اتباع

(١) مجموع الفتاوى (١/ ٦٥).

(٢) جامع البيان (٣/ ٢٦٤٦).

(٣) زاد المسير في التفسير (٢/ ٢٦٠١٣٧).

الحق، ولا تطروا من أمرتم بتعظيمه، فتبالغوا فيه حتى تخرجوه من حيز النبوة إلى مقام الإلهية كما صنعتم في المسيح، وهو نبي من الأنبياء فجعلتموه إلهاً من دون الله<sup>(١)</sup>، وقد حذر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الغلو، وبين عاقبته في الأمم السابقة؛ كما جاء عن زيد بن سلام عن جده قال: كَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِبْلٍ أَنْ عَلَّمَ النَّاسَ مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَمَعَهُمْ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ، فَإِذَا عَلِمْتُمُوهُ فَلَا تَعْلُوا فِيهِ، وَلَا تَجْفُوا عَنْهُ، وَلَا تَأْكُلُوا بِهِ، وَلَا تَسْتَكْثِرُوا بِهِ)<sup>(٢)</sup>، وعن أبي العالية قال: قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: قال لي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَدَاةَ الْعَقَبَةِ وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ: (هَاتِ الْقُطُ لِي)، فَلَقَطْتُ لَهُ حَصِيَّاتٍ هُنَّ حَصَى الْخَذْفِ، فَلَمَّا وَضَعْتُهُنَّ فِي يَدِهِ قَالَ: (بِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ وَإِيَّاكُمْ وَالْعُلُوَّ فِي الدِّينِ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْعُلُوَّ فِي الدِّينِ)<sup>(٣)</sup>، قال ابن تيمية: (وسبب هذا اللفظ العام: رمي الجمار، وهو داخل فيه، فالغلو فيه: مثل الرمي بالحجارة الكبار، ونحو ذلك بناء على أنه قد أبلغ من الحصى الصغار، ثم علل ذلك بأن ما أهلك من قبلنا إلا الغلو في الدين، كما تراه في النصارى، وذلك يقتضي أن مجانية هديهم مطلقاً أبعد عن الوقوع فيما به هلكوا، وأن المشاركة لهم في بعض هديهم،

(١) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير (ص: ٣٩٣ - ٣٩٤).

(٢) أخرجه أحمد في المسند، حديث رقم: (١٥١١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٨/١) (١١٦٨).

(٣) أخرجه النسائي في السنن، حديث رقم: (٣٠٠٧)، وابن ماجه، حديث رقم: (٣٠٢٩)، وأحمد في المسند، حديث رقم: (١٨٥١)، والحاكم في المستدرک (١/ ٦٣٧)، وصححه الألباني في حجة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (ص: ٨١).

يخاف عليه أن يكون هالكا<sup>(١)</sup>، وفي توجيه الخطاب لأهل الكتاب تحذير لنا مما صنعوا، والمراد بالنهي وجوب التزام حدود الشرع.

فمن خلال هذه الأدلة القرآنية، وما جاء من بيان إضافي في السنة المطهرة يتبين بصورة قاطعة النهي الصريح عن مجاوزة الحد، والزيادة على ما شرع الله جلّ وعلا، فكما أن التفريط فيما شرع الله انحراف، كذلك الزيادة عليه أشد وأخطر، وأن الهداية في الاستقامة على الكتاب والسنة دون إفراط أو تفريط.



(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (١/٣٢٩).



## المبحث الرابع أسباب الانحراف الفكري

إنَّ المعالجة الصادقة لأي قضية تؤرِّق المجتمع والأمة، وتهدد كيانهما، وأمنهما، وازدهارهما، ينبغي أن يبدأ بدراسة الأسباب التي أدت أو يمكن أن تؤدي إليها، خاصة إذا كانت الظاهرة متكررة عبر التاريخ، وألمح الإسلام لأسبابها، ووضع المعالجات الشافية لها؛ لأن الله تعالى جعل من سنته أن تجري المسببات على أسبابها، فإنَّ إعطاء الدواء بدون تشخيص للداء نوع من العبث، والوقوف على الأسباب دون إعطاء الدواء نوع من العجز والانتحار، وإعطاء الدواء للفكر والسلوك من خارج هدي الكتاب والسنة نوع آخر من الجهل والغباء، لأمة دواؤها الشافي من الله بين أيديها وهي تبحث عن بديل أفضل منه في أفكار البشر؛ ولذا يحاول الباحث من خلال هذه الدراسة تحديد أسباب الانحراف الفكري من خلال استقراء أدلة الكتاب والسنة التي وردت في النهي عنه، والتحذير منه؛ لأنَّ فيهما الهدى الكافي، والدواء الشافي؛ حتى لا نغرق مع من غرقوا في التحاليل والدراسات النظرية كأنَّها ظاهرة ليس في الإسلام علاج لها، وبعضهم حرَّفوا بعض الأسباب لمقاصد يريدونها، قصدوا من خلالها الطعن في الدين أو المتمسكين به، وأصبح الناس يتبادلون الاتهامات، ويحاول بعض من يكتب تبرئة نفسه أو مجموعته، ونحن عندما نكتب عن هذه الظاهرة لا نربطها بمكان محدد، ولا زمان معيَّن، ولا فئة

مخصصة، وإنما هي ظاهرة ممتدة عبر التاريخ وفي كل الحقب، وستبقى إلى آخر الزمان، تحدّث عنها علماء الأمة الأخيار؛ ولذا نحن نتحدّث عن أسباب متى ما توفرت أدت أو ساعدت على ظهورها، وننظر إليها بحسبان أن الإسلام هو الذي حدد أسبابها ووضع المعالجات لها، ومن أبرز هذه الأسباب ما يلي:

### أولاً: العدول عن الكتاب والسنة كمصدرين للتشريع

يظهر لكل من استقرأ الأدلة التي جاءت في النهي والتحذير والمعالجة لظاهرة التشدد والغلو والانحراف؛ أنّ مبدأ هذا الضلال والشر عدول أصحابه عن الكتاب والسنة، والطعن فيهما ولو من غير قصد، وعدم التحاكم إليهما في كلّ صغيرة وكبيرة، والخروج عليهما بالظن والهوى، فذو الخويصرة يطعن في عدالة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصدقه ويقول له: يَا رَسُولَ اللَّهِ اتَّقِ اللَّهَ، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرد بقوله: (وَيْلَكَ أَوْ لَسْتُ أَحَقَّ أَهْلِ الْأَرْضِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ)، وفي رواية فقال: اتَّقِ اللَّهَ يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ: (مَنْ يُطِيعَ اللَّهَ إِذَا عَصَيْتُ، أَيَأْمِنُنِي اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَلَا تَأْمُونِي!!)، والرهط الثلاثة ينظرون إلى عبادته على أنها قليلة، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرد بقوله: (فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي)، وعثمان بن مظعون يريد رهبانية ما شرعها الله، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول له: (أَفَمَا لَكَ فِي أُسْوَةٍ، فَوَ اللَّهُ إِنِّي أَخْشَاكُمُ لِلَّهِ، وَأَحْفَظُكُمْ لِحُدُودِهِ)، فإنَّ ظهور الفرق والفتن وكثرة الهرج والمرج ملازم لجهل الناس بالكتاب والسنة، وانتشار البدع، وغياب الحق، كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يُقْبَضُ الْعِلْمُ وَيُظْهَرُ الْجَهْلُ وَالْفِتْنُ وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْهَرْجُ؟ فَقَالَ:

هَكَذَا بِيَدِهِ فَحَرَفَهَا كَأَنَّهُ يُرِيدُ الْقَتْلَ<sup>(١)</sup>، ولذا ما استطاعت هذه الأفكار أن تنمو في عهد النبوة؛ لأنَّ نور الحق إذا ظهر بدّد ظلمات الجهل، وانتشار هذا الفكر في أي مجتمع مؤثر من أكبر مؤشرات الجهل بالكتاب والسنة.

### ثانياً: غياب الفقه السليم والتصور الصحيح للإسلام

إنَّ عدم الفهم السليم للدين وفق ما كان عليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، وما قَعَدَهُ وأَصَلَهُ علماء أهل السنة والجماعة عبر القرون، يؤدّي إلى انحراف الأمة وتفرّقها وتناحرها، ويظهر ذلك من خلال أغلب الذين ظهر فيهم فكر الغلو في عهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبعده، لم يكونوا من أهل العلم والفهم السليم للدين؛ بل كان الجهل بما عليه سلف هذه الأمة أحسن وصف لهم كما جاء في الحديث: (قَوْمٌ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ رَطْبًا لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ)، فهم أخذوا القرآن تلاوة وحفظاً دون فهم سليم له، وفق ما فهمه الصحابة وعلماء الأمة الراسخون، فضلّوا من حيث كان ينبغي لهم أن يهتدوا به، وقد قال ابن تيمية: (فإن عامة ضلال أهل البدع كان بهذا السبب، فإنهم صاروا يحملون كلام الله ورسوله على ما يدعون أنه دالٌّ عليه، ولا يكون الأمر كذلك)<sup>(٢)</sup>، وذلك لأنهم استندوا على أدلة من القرآن أو السنة أو أقوال أهل العلم لم يردوها إلى المحكم منها، معتقدين أنها حجة لهم وهي حجة عليهم، أو أخذوا ببعض الأدلة وتركوا بعضها الآخر، ولم يجعلوا أدلة

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس، حديث رقم: (٨٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٧ / ١١٥).

القرآن والسنة يصدّق بعضها بعضاً؛ كاستشهاد الخوارج على إبطال التحكيم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف: ٤٠]، فإنّ ظاهر استشهادهم بالآية صحيح على الجملة، وأما على التفصيل فمحتاج إلى البيان، وهو ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما من أنّ الحكم لله تارة من غير تحكيم، وتارة بتحكيم؛ لأنّه إذا أمرنا بالتحكيم فالحكم به حكم الله، فتأمّلوا وجه اتباع المتشابهات وكيف يؤدي إلى الضلال والخروج عن الجماعة<sup>(١)</sup>، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَى اللَّهُ فَأَحْذَرُواهُمْ)<sup>(٢)</sup>، وغير هذا من أمثلة ونماذج كثيرة ذكرها ابن القيم<sup>(٣)</sup>.

### ثالثاً: إرادة الخير دون فقه صحيح ومعرفة بمدخل الشيطان

من الأمور التي توقع البعض في الانحراف الفكري إرادة الخير بدون فقه صحيح، ومعرفة بمدخل الشيطان على العبد المستقيم، فكم من مرید للخير لم يبلغه، ومستقيم حرّفه الشيطان بهذا السبب، حتى اعتقد بعضهم أن التشدد في الدين مطلوب؛ فلذا تجد الواحد منهم يلزم نفسه ويحاول إلزام الآخرين بما لم يوجبه الله عزّ وجلّ عبادة وقربة، كما جاء في حديث زينب، وقصة أبي إسرائيل، وكتحريم بعض الطيبات التي أحلها الله بقصد التقرب إلى الله، وكما في حديث الثلاثة الذين سألوا عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم

(١) ينظر: الاعتصام (١ / ٢٤٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب منه آيات محكمات، حديث رقم: (٤١٨٣)، ومسلم في كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن، حديث رقم: (٤٨١٧).

(٣) إعلام الموقعين (٢ / ٢٩٤، ٣٠٧).

وغيره مما هو ظاهر في الأدلة السابقة، قال ابن القيم: (فإن الشيطان يشم قلب العبد ويختبره، فإن رأى فيه داعية للبدعة، وإعراضاً عن كمال الانقياد للسنة، أخرجه عن الاعتصام بها، وإن رأى فيه حرصاً على السنة، وشدة طلب لها لم يظفر به من باب اقتطاعه عنها، فأمره بالاجتهاد والجور على النفس، ومجاوزه حد الاقتصاد فيها قائلاً له: «إن هذا خير وطاعة والزيادة والاجتهاد فيها أكمل، فلا تفتقر مع أهل الفتور، ولا تنم مع أهل النوم»، فلا يزال يحثه ويحرّضه حتى يخرج من الاقتصاد فيها، فيخرج عن حدها كما أن الأول خارج عن هذا الحد، فكذا هذا الآخر خارج عن الحد الآخر، وهذا حال الخوارج الذين يحقر أهل الاستقامة صلاتهم مع صلاتهم، وصيامهم مع صيامهم، وقراءتهم مع قراءتهم، وكلا الأمرين خروج عن السنة إلى البدعة، لكن هذا إلى بدعة التفريط والإضاعة، والآخر إلى بدعة المجاوزة والإسراف.. فكل الخير في اجتهاد باقتصاد، وإخلاص مقرون باتباع، كما قال بعض الصحابة رضي الله عنهم: «اقتصاد في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة»<sup>(١)</sup>.

### رابعاً: الجهل بوسطية الإسلام ويسره وسماحته

كثير من الناس يجهل عظمة هذا الدين المتمثل في يسره، وسماحته، واعتداله خاصة الشباب؛ ولذا فإن إهمال رعاية الشباب من قبل الأسرة، والدعاة، والعلماء، والدولة، والقيام بتعليمهم وتربيتهم على المنهج الوسط، والفكر المعتدل القائم على العلم الصحيح، والنهج القويم الذي لا يصل العبد ويسلم في دينه من الانقطاع إلا من خلاله، مع رعاية سماحة هذا الدين

(١) مدارج السالكين (٢/١١٢).



ويسره، يؤدي إلى ظهور هذا الفكر وانتشاره كما قال **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: (إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ)؛ لأن هذا الانحراف الفكري الذي سببه الغلو يصاب به كما أخبر الصادق الكريم **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** حُذَاءَ الْأَسْنَانِ سُفْهَاءَ الْأَحْلَامِ.

### خامساً: الأخذ الجزئي للدين وعدم الموازنة بين الحقوق

#### والواجبات

فإنَّ من أسباب الانحراف الفكري الغلو في جوانب من الدين وإهمال جوانب أخرى شرعها الله **عَزَّجَلَّ** وحث عليها، وذلك لغياب التصور الكلي للدين، كمن يريد أن يصوم النهار ويقوم الليل ولا يراعى حق نفسه وأهله وضيوفه، جهلاً منه أنَّ التديّن هو السعي إلى الدخول في السلم كافة، والرعاية لأحكامه عامة قدر المستطاع، لا الالتزام بجوانب وترك جوانب أخرى، فمن أقام الليل كله ثم نام عن فريضة الفجر لم يفعل ما يرضي الله؛ لأجل ذلك ينبغي أن يكون للمسلم تصور شرعي يدرك من خلاله ترتيب الأولويات، فلا يقدّم على واجب وهنالك ما هو أوجب منه، ولا تكون المستحبات على حساب الواجبات، ومن تتبع منهج القرآن وسيرة سيد الأنام أدرك ذلك بالتمام، وقد كان هو منهج الصحابة الكرام؛ ولذا سعى سلمان **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** أن يلفت نظر أبي الدرداء **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** إلى الحقوق الأخرى التي أوجبها الله **عَزَّجَلَّ** وهو غير ملتفت لها وإلى مراتب الأعمال التي يتقرب بها إليه، فقال له سلمان: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَأَتَى

النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (صَدَقَ سَلْمَانُ) <sup>(١)</sup>، فإن الجهل بذلك من أسباب انحراف كثير من الناس، وفي هذا يقول الدكتور سليمان الأشقر: (إن الموازنة والمواءمة بين الحقوق والواجبات، الحقوق بعضها مع بعض، والواجبات بعضها مع بعض، والموازنة بين مطالب الروح والجسد أمر عسير ليس بالسهل، فالإنسان يغرق بطبعه في الميل إلى أحد الجانبين، وهذا الميل يسبب فساداً للفرد والمجتمع) <sup>(٢)</sup>.

### سادساً: الزهد في العلماء الربانيين والظعن فيهم

لا بد للأمة في كل زمان من وجود أهل العلم يرجع إليهم فيما يجهلونهم أو فيما يشكل عليهم من الأدلة، أو يشبهه من أحوال الزمان وأزماته، قال تعالى: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، فإن الله عز وجل جعل للعلماء من المنزلة والمكانة والحقوق ما ليس لغيرهم؛ فهم ورثة الأنبياء، وهداة الخلق إلى الحق، ومن هنا فإن انعزال الشباب عن مجالس العلم والعلماء وأهل الفضل والخير من أعظم أسباب الانحراف؛ لأن الشباب إذا التفوا حول العلماء أخذوا من علمهم وسمتهم، وتأثروا بمنهجهم المعتدل وفكرهم المستقيم، وإن أخذوا العلم من كتاب، أو شريط، أو صاحب فكر قاصر أو منحرف، فقدوا الفقه السليم من جهة، وارتموا في مهاوي الضلالة من جهة أخرى، كما قال الشافعي: (من تفقه من بطون الكتب ضيَّع

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم باب من أقسم على أخيه ليفطرن في التطوع ح رقم

. ١٨٣٢

(٢) نحو ثقافة إسلامية أصيلة، (ص: ٧٤).

الأحكام)<sup>(١)</sup>، وقد وضح النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن قبض العلماء وعدم أخذ العلم عنهم هو سبب الضلال والإضلال، فإن بداية الضلال أن يتصدر الجهلاء أمر الدين وقضايا الأمة، كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا)<sup>(٢)</sup>، وعند قبض العلم، وتصدر الجهلاء للفتوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لا بد أن تكثر الفتن والقتل في الأمة كما جاء عن أبي هريرة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (يُقْبِضُ الْعِلْمَ، وَيُظْهِرُ الْجَهْلَ وَالْفِتْنَ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْهَرْجُ؟ فَقَالَ: هَكَذَا بِيَدِهِ فَحَرَفَهَا كَأَنَّهُ يُرِيدُ الْقَتْلَ)<sup>(٣)</sup>، لأن الناس إذا رجعوا في أمورهم لأهل العلم والعقل سلموا وإلا كان العكس، لذا أمرهم الله عَزَّجَلَّ بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]، وقد طعن زعيم المنحرفين فكرياً في سيد العلماء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وطعن أذنا به في أجلة العلماء من أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واستحلوا دماءهم الطاهرة فضلوا وهلكوا.

(١) تذكرة السامع (ص: ٨٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، حديث رقم: (٩٨)، ومسلم في كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن، حديث رقم: (٤٨٢٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب الفتيا بإشارة اليد والرأس، حديث رقم: (٨٣).

## سابعاً: التصدر للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بدون فقه

### ونضج

من أعظم خصائص هذه الأمة قيامها بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قال تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، خاصة عند انتشار المنكرات الظاهرة -العقدية والسلوكية- في المجتمع المسلم، ولكن ينبغي أن يعلم أن التصدر لذلك دون علم ونضج يؤدي إلى مفاسد عظيمة؛ لأنه ربما يريد أحدهم تغيير المنكر فيأتي بمنكر أكبر، وقد قال العلماء: (ليكن أمرك بالمعروف بمعروف، ونهيك عن المنكر غير منكر)<sup>(١)</sup>، لأنه هنالك من يريد أن يأمر وينهى إما بلسانه وإما بيده مطلقاً، من غير فقه وحلم وصبر ونظر فيما يصلح من ذلك وما لا يصلح، وما يقدر عليه وما لا يقدر عليه، فيأتي بالأمر والنهي معتقداً أنه مطيع في ذلك لله ورسوله وهو متعدد حدوده، كما انتصب كثير من أهل البدع والأهواء، كالخوارج والمعتزلة والرافضة وغيرهم ممن غلط فيما أتاه من الأمر والنهي والجهاد على ذلك، وكان فساده أعظم من صلاحه؛ لهذا أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالصبر على جور الأئمة، ونهى عن قتالهم ما أقاموا الصلاة<sup>(٢)</sup>، كما أن التصدر للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بدون فقه ونضج يفتح الباب لظهور مدارس فكرية مختلفة ينقصها العلم غالباً، والتصور المتكامل للواقع وتحدياته، وضيق الأفاق في حمل

(١) الاستقامة (٢/٢١١).

(٢) ينظر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص: ١٠-١٢).

هموم الأمة وقضاياها؛ مما يؤدي إلى هدم المجتمع وإفساده لا إصلاحه؛ وذلك لأن التصدر للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير فقه بالشرع، وأسلوب الأمر والنهي وفقهه، وما يترتب على الأمر والنهي من مصالح ومفاسد، من أعظم أسباب ظاهرة الانحراف الفكري، فلذلك نجد هذا الجاهل يخاطب النبي الكريم **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بهذا الأسلوب: (اعدل يا محمد)، وهو الذي قال الله فيه: **﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾** [النجم: ٢]، وهو أعلم الناس بالله، وأخشاهم واتقاهم الله، ولهذا كان رد النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عليه رداً حكيماً، فقال له: (وَيْلَكَ أَوْلَسْتُ أَحَقَّ أَهْلِ الْأَرْضِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ)، وقد جاء في الحديث بأن من أسباب ظهور الانحراف الفكري وانتشاره تصدر حُذَاءِ الأَسنان، ضعفاء الفقه لواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما قال النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في وصفهم: (قَوْمٌ حُذَاءُ الْأَسنانِ، سُفَهَاءُ الْأَحلامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ)<sup>(١)</sup>، فمن تصدّر للدعوة دون علم، وفقه بالشرع، والواقع، والواجب في الواقع، فقد وضع نفسه في موضع الانحراف؛ لأن الدعوة لا يقوم بها حق القيام إلا أهل البصيرة في الدين، كما قال تعالى: **﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾** [يوسف: ١٠٨].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: **﴿تَعْرُجُ الْمَلَكَةُ وَالرُّوحُ**

**إِلَيْهِ﴾**، حديث رقم: (٦٨٨٠)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، حديث رقم: (١٧٦٢).



## ثامناً: القصور والتقصير في التربية

القصور في التربية على المنهج المستقيم، أو التقصير بعدم الجدية في التربية السليمة لإخراج الفرد الصالح، من أسباب الانحراف الفكري، وذلك بتنصل بعض الأسر، والمدارس، وكثير من مؤسسات المجتمع عن واجبها التربوي، أو التربية القاصرة التي يهتم فيها بجانب ويترك فيها جوانب أخرى مهمة؛ مثل أن يهتم بجانب العبادة، ويهمل جانب الأخلاق، كما هو شأن الخوارج الذين يحقر أحدكم صلاته إلى صلاتهم، كما جاء في الحديث: (دَعَا فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ)، أو التركيز في التربية على جانب الشدة والقسوة دون الاهتمام بالرفق واللين في الدعوة والمعاملة اللذين ما كانا في شيء إلا زاناه، وما نزعنا من شيء إلا شاناه، أو التركيز على الشكل الظاهري في التدبير مع إهمال أسس الدين وكيالاته وقيمه وآدابه، كما جاء في وصف ذي الخويصرة: (فَقَامَ رَجُلٌ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ، مُشْرِفُ الْوَجْتَيْنِ، نَاشِزُ الْجَبْهَةِ، كَثُّ اللَّحِيَّةِ، مَحْلُوقُ الرَّأْسِ، مُشَمَّرُ الْأَزَارِ)، بما يدل على ذلك، أو التربية على الحفظ دون الفهم كما وصفهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالقرءاء والحفاظ بدون فقه، فقال: (يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ)، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إنه في آخر الزمان يكثر القرءاء، ويقل الفقهاء)<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک، حديث رقم: (٥٠٤)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، والطبراني في الأوسط، حديث رقم: (٣٢٧٧)، والهيثمی فی مجمع الزوائد، حديث رقم: (٨٨٩).

## تاسعاً: غياب الوعي بعواقب الانحراف الفكري

إنَّ غياب الوعي بخطر الانحراف الفكري وعواقبه؛ على دين الفرد وأمن المجتمع والجماعة من قبل الأسرة والمجتمع والدولة، يساعد على ظهوره وانتشاره، فبقدر تنبه الفرد والمجتمع لخطره يمكن محاصرته ودحره، ولهذا نبه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على خطره على الفرد والجماعة ليظل الجميع على حذر كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ، قَالَهَا ثَلَاثًا)، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوَّ فِي الدِّينِ)، وقال عن خطره الاجتماعي: (يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَيَدْعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ)، ومن أسباب انتشاره وتأثيره قلة من يتصدون له من مربّين ومعلّمين ودعاة وإعلاميين ومفكرين، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧].

## عاشراً: غياب الوعي بحرمة المسلم وحرمة جماعتهم

إنَّ ضعف الانتماء والولاء للأمة المسلمة يؤدي إلى الاستهانة بأرواح المؤمنين، وأموالهم، وأمنهم، واستقرارهم؛ وذلك أن الفرد لا بد أن يربّي على أنّه جزء من كل، وواحد في جماعة، ولبنة في بناء متماسك، وأن جزءاً من مهمته في الحياة الحفاظ على مدّخرات الأمة ومكتسباتها؛ حتى يكون من العين التي باتت تحرس في سبيل الله، وأن التعدي على مال أخيه أو عرضه أو نفسه هو تعد على حق نفسه، وهذا الضعف يكون غالباً مصحوباً بالجهل بالتاريخ، وعدم أخذ الدروس والعبر مما مضى، والاستفادة من ذلك في تأمين حاضرنا، فإنّ من يقرأ التاريخ من مقتل عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وما بعده، يدرك المفاسد العظيمة

المرتبة على مسألة الخروج على الحاكم المسلم، وأثر الفتن في تأخر الأمة وضعفها، وأن وجود حاكم ولو كان ظالماً خيراً للأمة من بقائها ليلة واحدة بلا سلطان، وأصحاب الفكر المنحرف كثيراً ما تجدهم يجهلون عظمة حرمة المسلم، وعظمة حرمة جماعته؛ ولذا يسهل عندهم قتل أهل الإسلام، بل سهل عليهم قتل من بشرىوا بالجنة من الخلفاء الراشدين.

### الحادي عشر: الجهل بحقوق غير المسلمين والواجب تجاههم

من أسباب الانحراف الفكري كذلك الجهل بحقوق غير المسلمين، وما شرعه الله لهم وما أوجبه تجاههم؛ ولذا لا تجد لهؤلاء المنحرفين أثراً في حمل رسالة الإسلام للناس، والسعي لهدايتهم، كما لا يهتمون بالجهاد مع المسلمين فيمن شرع الله جهادهم؛ بل هم كما قال النبي ﷺ: (يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَيَدْعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ)، ومن يهتم منهم تجده منحرف الفكر تجاههم، يرى أن أي كافر حلال الدم، ومباح المال والعرض، وأن الواجب تجاه الكافر هو قتله لا هدايته للإسلام، ومعاملته بالبر والقسط، إذا كان معاهداً، أو مستأمناً وليس له عداً ظاهر للإسلام والمسلمين، وسبب ذلك هو الخلط في إنزال الأدلة التي فرقت في التعامل بين الكافر المحارب وغيره، وبين أوقات القوة والضعف، ويجهلون لماذا شرع الجهاد؟، ومتى؟، وأنه لا إكراه في الدين، وأن الدعوة والمجادلة بالتي هي أحسن مما نص الله عليه في كتابه، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

## الثاني عشر: إهمال قيم الأخلاق في التربية

إن الفرد المسلم كما يربّي على الإيمان ينبغي أن يربّي على أخلاق الإسلام، فإن إهمال جانب الأدب والسلوك هو من أقوى أسباب الانحراف الفكري، كما هو ظاهر في سلوك الخوارج وغيرهم من المنحرفين قديماً وحديثاً، ومن ذلك:

أ- التسرع وعدم التبين في الأمور التي تشاع بين الناس: فإن ذا الخويصرة لم يثبت ويسأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لماذا فعل كذا، وإنما سارع في قوله له: (اتق الله، والله ما هذه قسمة أريد بها وجه الله)؛ فلذا نجد الخوارج يسارعون في الفتن ولا يستقرون على حال، وصفة المؤمن على خلاف ذلك.

ب- التعامل وعدم معرفة الإنسان قدره: والتطاول على مقام العلماء والفضلاء، فإن ذا الخويصرة قام يتكلم مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويأمره أن يتقي الله وينصحه، جاهلاً قدر نفسه، وقدر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقدر من كانوا معه من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذين هم أعلم منه، وأقدم إسلاماً، وأولى بالحديث، ولهذا كان جهل حداثئ الأسنان سُفهاء العقول بقدر أنفسهم جعلهم يتصدرون لقضايا الأمة، ويتحدثون بغير فقه، ويكفرون من لا يستحق التكفير، ويستبيحون الدماء المعصومة.

ج- سوء الظن بالآخرين: فالمؤمن ينبغي عليه أن يحسن الظن بأخيه دائماً فيما يسمعه وينقل له عنه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْرٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، وعن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:

(إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ)<sup>(١)</sup>، وقد سارع ذو الخويصرة في إساءة الظن بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسارع أتباعه فيما بعد في إساءة الظن بعثمان وعلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وغيرهما، واستحلوا دماءهم الطاهرة بظنون كاذبة.

**د- الجهل بأدب الخلاف:** في الأمور التي يسوغ فيها الاختلاف، أو كيفية التعامل مع الخلاف بأنواعه، أو الترتيب على المذهبية الضيقة، أو على الفتاوى الأحادية، والتعصب للرأي، وعدم احترام المخالف، واتهامه بالهوى والباطل.

### الثالث عشر: التعامل غير الشرعي في معالجة المنحرف فكرياً

من أسباب زيادة الانحراف وانتشاره التعامل غير المنضبط بالفقه الشرعي مع من وقع في الانحراف الفكري، ومن ذلك محاربة كل ملتزم ولو كان معتدلاً مستقيماً بسبب القضاء على المتشددین، أو أخذ الناس بالظنون والشبهات دون بينات قاطعة؛ ولذا عندما قال خالد بن الوليد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا أَضْرِبُ عُنُقَهُ، قَالَ: (لَا لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ يُصَلِّي)، فَقَالَ خَالِدٌ: وَكَمْ مِنْ مُصَلٍّ يَقُولُ بِلِسَانِهِ مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنِّي لَمْ أُوْمَرُ أَنْ أَنْقُبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ، وَلَا أَشَقَّ بُطُونَهُمْ)، أو استخدام العنف من: قتلٍ وتشريدٍ وسجنٍ وتعذيبٍ بالنار ونهشٍ بالكلاب؛ لمن تأثر بهذا الفكر سواء حمل السلاح أو لم يحمله؛ وقفل باب الحوار والسعي لمعالجة انحرافهم

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع، حديث رقم: (٤٧٤٧)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظن والتجسس...، حديث رقم: (٤٦٤٦).



الفكري من خلال الرد على شبههم، أو التصدي لأصحاب الفكر المنحرف بأناس مغضوب عليهم لا يعرفون الله، ولا يلتزمون بقيم الشرع مما يكون سبباً لتعاطف العامة معهم، وإصرارهم للمضي في طريقهم بقناعة وثبات، علماً بأنه ما من نوع من الفساد إلا وقد شرع الشرع له معالجات وأحكام ينبغي الالتزام بها، وليس في الشرع مجال للهوى وحفظ النفس، وإلا كانت المعالجة سبباً لداء آخر ربما يكون أخطر، وقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا ءَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨]، قال القرطبي: (دلت الآية على أن كفر الكافر لا يمنع من العدل عليه، وأن يقصر بهم على المستحق من القتال والاسترقاق، وأن المثلة بهم غير جائزة وإن قتلوا نساءنا وأطفالنا وغمونا بذلك، فليس لنا أن نقتلهم بمثلة قصدا لإيصال الغم والحزن عليهم)<sup>(١)</sup>، وإذا كان هذا في معاملة الكافر المقاتل فكيف تكون المعاملة مع المسلم الباغي، والمنحرف فكرياً.



(١) الجامع لأحكام القرآن (٣ / ٤٧٨).

## المبحث الخامس علاج الانحراف الفكري

يرى الباحث أنّ المعالجة السليمة والشفافية تكون من خلال الاهتمام بتعليم المفاهيم الصحيحة عن الإسلام، من خلال المناهج التعليمية، ووسائل الإعلام، وأن نراعي ذلك في فكرنا وتربيتنا الخاصة في البيت، والمسجد، ومؤسسات المجتمع المتنوعة، وفق النقاط المذكورة في هذا المبحث، نُظهر من خلالها عظمة هذا الدين، وإحكامه وشموليته واعتداله، ويسره وجماله ومتانته، وسلطانه الضابط لهوى النفس وأفكار البشر، بل حركاتهم وسكناتهم بما يحقق لهم الخيرية؛ التي بها تميزت هذه الأمة الوسط عن غيرها من الأمم.

ومن خلال التتبع والاستقراء لأدلة الكتاب العزيز، وما جاء في بيان السنة التي وردت حول هذا الموضوع، والمعالجات التي وضعها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خرجنا بهذه المعالجات الفكرية العملية التي هي كفيلة بإذن الله تعالى إذا روعيت من خلال تصميم مناهجنا التربوية، وبرامجنا الإعلامية، والدعوية، وعمل المعلمين، والدعاة، والمربين في البيوت، وأصحاب القرار، بدحر وعلاج هذا النوع من الانحراف الخطير على أمن المجتمع واستقراره، وهي كالاتي:

## أولاً: إبراز أهمية لزوم الكتاب والسنة وعدم التقدم عليهما

من أبرز الأمور لإيجاد الأمة الوسط، ومحاربة كل صور الانحراف، التزام الجميع بمرجعية واحدة واضحة ثابتة للفرد والجماعة، للحاكم والمحكوم، وضحاها الله عَزَّجَلَّ في كتابه، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سنته، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١]، قال أبو حيان الأندلسي: (نهوا من الإقدام على أمر دون الاهتداء على أمثلة الكتاب والسنة، والمعنى: لا تقطعوا أمراً إلا بعد ما يحكمان به ويأذنان فيه، فتكونوا عاملين بالوحي والسنة، أو مقتدين برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)<sup>(١)</sup>، وعن العرباض بن سارية قال: وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا بَعْدَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةٌ مُودَّعٌ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بُسْتِي، وَسُنَّةُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ)<sup>(٢)</sup>، قال الجنيد: (الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واتبع سنته، ولزم طريقته، فإن طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه)<sup>(٣)</sup>، وقال صاحب الطحاوية في العقيدة السلفية: (فإنه ما سلم

(١) تفسير البحر المحيط (٨ / ١٥٠).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، حديث رقم: (٢٦٠٠)، وأبي داود، حديث رقم: (٤٦٠٧)، وابن ماجه، حديث رقم: (٤٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦ / ٥٢٦) (٢٧٣٥).

(٣) مدارج السالكين (٣ / ١٢٦).

في دينه إلا من سلم لله عَزَّجَلَّ ولسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ورد ما اشتبته عليه إلى عالمه، ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام<sup>(١)</sup>.

وقد جاءت عشرات الأدلة في القرآن الكريم التي تؤكد هذا الأصل العاصم من كل أوجه الفتن، من ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْبِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَذُودُوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، قال ابن تيمية: (فإذا تنازع المسلمون في مسألة وجب رد ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول، فأبي القولين دل عليه الكتاب والسنة وجب اتباعه)<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ نُصِيبَهُمْ فِتْنَةً أَوْ نُصِيبَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النور: ٦٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ

(١) ينظر: شرح الطحاوية، لصدر الدين علي بن محمد بن أبي العز الحنفي (ص: ١٦٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٠ / ١٢).

أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ ﴿﴾  
 [النساء: ٦٩]، فاتباع الكتاب والسنة ظاهراً وباطناً، ومن سار على نهجها من  
 الخلفاء الراشدين والسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، هو العاصم  
 الأول للفرد والجماعة كما أكد ذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: (سَتَرُونَ مِنِّي  
 بَعْدِي اخْتِلَافًا شَدِيدًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ  
 عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْأُمُورَ الْمُحَدَّثَاتِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ)<sup>(١)</sup>،  
 قال ابن تيمية: (فلولا أن سنته وسنة الخلفاء الراشدين تسع المؤمن وتكفيه  
 عند الاختلاف الكثير لم يجز الأمر بذلك)<sup>(٢)</sup>، وترك صراطهم المستقيم الذي  
 كانوا عليه في العبادة، أو التشريع، أو الزهد، أو الورع ونحو ذلك؛ بدافع  
 التدين يؤدي إلى انحراف فكري يخرج في نهاية الأمر عن الدين؛ لأن لزوم  
 الحق عاصم من هوى النفس، وشر الشيطان؛ وذلك لأن طريق الحق، طريق  
 علم وعدل وهدى، (وطريق البدعة، طريق جهل وظلم، وفيها اتباع الظن وما  
 تهوى الأنفس)<sup>(٣)</sup>، قال ابن القيم: (ما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان:  
 فإما إلى غلو ومجاوزة، وإما إلى تفريط وتقصير، وهما آفتان لا يخلص منهما  
 في الاعتقاد والعمل إلا من مشى خلف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وترك أقوال  
 الناس وآراءهم لما جاء به، لا من ترك ما جاء به لأقوالهم وآرائهم)<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه أحمد في المسند، حديث رقم: (١٦٥٢١)، وابن ماجه، حديث رقم: (٤٢)، والدارمي،

حديث رقم: (٩٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه حديث رقم: (٤٠).

(٢) الاستقامة (١ / ٤).

(٣) مجموع الفتاوى (١٠ / ٥٦٨).

(٤) كتاب الروح (ص: ٥٤٥).



ومن هنا يظهر لنا أن بداية الضلال يكون في ترك الكتاب والسنة سواء أكان ذلك في ترك أصل ما شرع الله، أو في مقداره وكيفياته، ونحو ذلك، فالخوارج لم يضلوا في أصل العبادات التي من أعظمها الصلاة، والصيام، وقراءة القرآن، وإنما ضلوا في عدم اقتصارهم على ما شرع الله، كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (دَعَا فِإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ)، أي: أنهم يغفلون في ذلك حتى يحقر الواحد عبادته في جنب عبادة هؤلاء، وهم مع ذلك في نهاية أمرهم (يَمُرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمُرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ)، فهذه الأجناس الثلاثة مع أنها في أصلها مشروعة، ومما يحبها الله ولكنهم لما لم يلتزموا بالمقدار والكيفية التي شرعها الله، كان ذلك الانحراف سبباً لخروجهم عن الدين، ولهذا قال السلف: (اقتصاد في سنة، خير من اجتهاد في بدعة)<sup>(١)</sup>، وقد ورد في الصحيحين عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أن عبد الله بن عمرو قال: أخبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أني أقول: وَاللَّهِ لَأَصُومَنَّ النَّهَارَ، وَلَا أَقُومَنَّ اللَّيْلَ مَا عَشْتُ، فَقُلْتُ لَهُ: قَدْ قُلْتَهُ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، قَالَ: (فَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ فَصُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، وَصُمْ مِنَ الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ الْحَسَنَةَ بَعَشْرَ أَمْثَالِهَا، وَذَلِكَ مِثْلُ صِيَامِ الدَّهْرِ)، قُلْتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: (فَصُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمَيْنِ) قُلْتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: (فَصُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا؛ فَذَلِكَ صِيَامُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ أَفْضَلُ الصِّيَامِ)، فَقُلْتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ)<sup>(٢)</sup>، فهذا الحديث برواياته المختلفة يدل على فقه عظيم

(١) مجموع الفتاوى (١١ / ٣٩٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصيام، باب صوم الدهر، حديث رقم: (١٨٤٠)، =

حيث أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهاه عن هذه الصور من العبادات المخالفة لما شرع، مع أنها في أصلها من أحب الأعمال عند الله؛ لكن الفضل لا يكون إلا بالتزام ما شرعه الله، ولهذا عندما قال: (إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ)، رد عليه النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ)، أي: ليست هنالك صورة تقرب إلى الله أفضل مما شرعه؛ لأن تلك الصورة وإن كانت طيبة لكنها لما يترتب عليها من ضرر؛ ولما تؤدي إليه من انحراف وانقطاع، نهى عنها الشرع، كما جاء في إحدى روايات الحديث قال: (فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ هَجَمْتَ<sup>(١)</sup> عَيْنَكَ، وَنَفَهْتَ نَفْسَكَ<sup>(٢)</sup>)<sup>(٣)</sup>، فالبعد عن الكتاب والسنة علماً وعملاً، وعدم الوقوف عند حدودهما، هو بداية الشر، وأعظم مدخل من مداخل الشيطان؛ ولذا فإن ثمرة الانحراف عن الكتاب والسنة للمسلم في دينه ودينه الهلاك والانقطاع، والسلامة دائماً في لزوم الكتاب والسنة للثبات على الحق، ورد كل شبهة وباطل يوجه إليه لانحرافه، قال الشنقيطي: (ولو كان المسلمون يتعلمون كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويعملون بما فيهما، لكان ذلك حصناً منيعاً لهم من تأثير الغزو الفكري في عقائدهم ودينهم، ولكن لما تركوا الوحي ونبدوه وراء ظهورهم، واستبدلوا به أقوال الرجال، لم تقم لهم أقوال الرجال ومذاهب الأئمة رحمهم الله مقام كلام الله، والاعتصام بالقرآن، وكلام النبي

= ومسلم في كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به، حديث رقم: (١٩٧٢).

(١) هَجَمْتَ عَيْنَكَ: بفتح الجيم، أي: غَارَتْ أَوْ ضَعُفَتْ لِكثْرَةِ السَّهْرِ، فتح الباري (٤ / ٢٨٦).

(٢) نَفَهْتَ: بنون ثم فاء مكسورة، أي: تَعَبْتَ وَكَلَّتَ، فتح الباري (٤ / ٢٨٦).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب ما يكره من ترك قيام الليل لمن كان يقومه،

حديث رقم: (١٠٨٥).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والتحصن بستته، ولذلك وجد الغزو الفكري طريقاً إلى قلوب الناشئة من المسلمين.. وبالجملة فمما لا شك فيه أن هذا الغزو الفكري الذي قضى على كيان المسلمين ووحدهم، وفصلهم عن دينهم؛ لو صادفهم وهم متمسكون بكتاب الله وسنة رسوله لرجع مدحوراً في غاية الفشل لوضوح أدلة الكتاب والسنة، وكون الغزو الفكري المذكور لم يستند إلا على الباطل والتمويه كما هو معلوم<sup>(١)</sup>.

### ثانياً: نشر الفقه السليم للإسلام، وإبراز مقاصد التشريع

ينبغي لنا أن نعلم أن الناس يقعون في الشر والباطل؛ بسبب جهلهم غالباً بالفهم السليم للدين وفق ما كان عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، وإن تلوا القرآن، وقرأوا أحاديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما هو شأن الخوارج الذين قرأوا القرآن دون فهم له، وقد قرن الله تعالى السوء بالجهل في أربعة مواضع في كتابه<sup>(٢)</sup>، قال تعالى: ﴿أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ٥٤]، لأن نور الله وفق هدي خيار هذه الأمة؛ هو الذي يهدي إلى الخير، ويعصم من الشر، كما قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ

(١) أخطاء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٧ / ٣٧٨).

(٢) ينظر: سورة النساء، الآية: (٧)، وسورة النحل، الآية: (١١٩)، وسورة الحجرات، الآية: (٦).

مُسْتَقِيمٍ ﴿ [المائدة: ١٥-١٦]، وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ أَجَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥]، فسيل المؤمنين هو طريق أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهم خيار هذه الأمة فهماً للدين، ولم يبدلوا نهج سيد المرسلين، وما ظهرت الفرق وانتشرت إلا من بعد قرونهم المباركة، وما خرج من علمهم خرج من مشكاة النبوة الطاهرة؛ لأن أساس العلم يقوم على الفهم السليم للدين لا على الحفظ بدون فهم، ولهذا فإن من صفات الخوارج ضعف الفقه في الدين، وما تصدرهم للقضايا العظام، والتسرع في التكفير وسفك الدماء إلا نتيجة سوء فهمهم؛ ويظهر هذا واضحاً من خلال عدد من الأدلة، من ذلك قول ذلك الرجل: (وَاللَّهِ إِنْ هَذِهِ الْقِسْمَةُ مَا عُدِلَ فِيهَا، وَمَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ)، فكان رد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليه عميقاً فقال له: (فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟ رَحِمَ اللَّهُ مُوسَىٰ قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ)، وفي رواية قال له: (فَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ إِنْ عَصَيْتُهُ)، فلو كان له فقه في دينه ما تجرأ لمثل هذا الكلام الذي لا يصدر إلا عن جاهل؛ لأنه لا يمكن أن يختار الله -الحكيم العليم- رسولاً لا يتصف بالصدق والأمانة، وهل يمكن لعاقل أن يتبع ظالماً خائناً؟! ولهذا قال في رواية: (أَيُّمَنْبِي اللَّهِ عَلَىٰ أَهْلِ الْأَرْضِ فَلَا تَأْمَنُونِي)، ومما يدل على جهله أن يتجرأ، فيأمر وينهي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي يجب عليه أن يطيعه، ويتبعه، ويوقره، ويخفض صوته بين يديه كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [النساء: ٦٤]، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ

بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿ [الحجرات: ٢]،  
ومما يدل على جهلهم وعدم فقههم قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: (يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ  
لَيْنًا رَطْبًا)، أي: سهلاً لكثرة حفظهم له، ولكن (لا يتجاوز حناجرهم)، قال  
القاضي عياض: (معناه لا تفقهه قلوبهم ولا ينتفعون بما تلووا منه، ولا لهم حظ  
سوى تلاوة الفم، والحنجرة، والحلق، إذ بهما تقطع الحروف) (١)، وقد جاء  
في رواية: (يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ يَحْسِبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ، لَا تُجَاوِزُ صَلَاتُهُمْ  
تَرَاقِيهِمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ) (٢)، ولهذا تجدهم  
يستدلون لبدعتهم وانحرافهم بأدلة من الكتاب والسنة، ولكن بدون فقه سليم  
لها، ولذا فإنَّ الخيرية في الدين لا تكون إلا لأهل الفقه كما قال رسول الله  
**صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: (مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ) (٣)، ومما يدل على جهل  
أصحاب الانحراف الفكري ولو كان ذلك بمقاصد سليمة؛ تقليلهم لعبادة  
النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وظنهم أنه اتكل على عفو الله له فقالوا: (وَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ  
النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وَقَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ)، وهل يمكن أن يفوق  
أحد من هذه الأمة رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في التقوى والصلاح، ولهذا قال  
لهم: (أَمَّا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ)، فأرادوا بجهلهم أن يتجاوزوا  
مَنْ أمرهم الله بالإقتداء به، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (٧ / ١٤١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب التحريض على قتل الخوارج، حديث رقم:  
(١٧٧٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، حديث رقم:  
(٦٩)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، حديث رقم: (١٧٢٩).



لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿ [الأحزاب: ٢١]، وخير فقه لهذا الدين هو ما كان عليه أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذين رضي الله عنهم فيما كانوا عليه من العلم والعمل، كما قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿ [التوبة: ١٠٠]، فلا سبيل لمجتمع قويم بدون وعي بالدين المستقيم على الكتاب والسنة، وعلى فهم سلف الأمة وعلمائها الراسخين، ومحاربة كل الأفكار المخالفة لما كانوا عليه، قال ابن القيم: (لا يتصور حصول الاستقامة في القول والعمل والحال إلا بعد الثقة بصحة ما معه من العلم، وأنه مقتبس من مشكاة النبوة، ومن لم يكن كذلك فلا ثقة له ولا استقامة)<sup>(١)</sup>.

وهذا يتطلب مراجعة شاملة لما يُقدّم، هل هو قائم على منهج سليم وفقه صحيح أم لا؟ ولا يتصور فهم سليم للدين إلا إذا كان نابغاً من هدي الكتاب والسنة، وكان على نهج سلف هذه الأمة الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، وللوصول إلى ذلك لابد من تعلم القواعد الأساسية التي توصل للفهم السليم، كقاعدة رد المتشابه إلى المُحكّم، والمتشابه الحقيقي الذي لا سبيل إلى معرفته فالواجب على العبد الإيمان به، وتفويض العلم بكيفيته وكنهه ووقته إلى الله عَزَّجَلَّ، ولا يخوض فيه ابتغاء تأويله؛ إذ الخوض في ذلك من أسباب الفتنة، ويؤدي إلى الحيرة والضلال كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا

(١) مدارج السالكين (٣/ ١٢٥).

يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴿ [آل عمران: ٧]. وأما إن كان من قبيل المتشابه النسبي الذي يعلمه الراسخون من أهل العلم بالتدبر للمعنى، وردة إلى المُحَكَّم من النصوص، ويعلمه غيرهم بالرجوع إليهم وسؤالهم عنه، فالواجب على العبد في هذا النوع الإيمان بالنص أولاً في الجملة؛ حتى يتبين له معناه بالنظر والدراسة والتدبر إن كان أهلاً، أو سؤال العلماء الذين يبينون له ذلك، قال ابن القيم: (طريقة الصحابة والتابعين، وأئمة الحديث كالشافعي، والإمام أحمد، ومالك، وأبي حنيفة، وأبي يوسف والبخاري، وإسحاق.. أنهم يردون المتشابه إلى المُحَكَّم، ويأخذون من المُحَكَّم ما يُفسِّر لهم المتشابه ويبينه لهم، فتتفق دلالاته مع دلالة المُحَكَّم، وتوافق النصوص بعضها بعضاً، ويصدق بعضها بعضاً، فإنها كلها من عند الله، وما كان من عند الله فلا اختلاف فيه ولا تناقض؛ وإنما الاختلاف والتناقض فيما كان من عند غيره)<sup>(١)</sup>.

أما الرد، والتكذيب، والتحريف فهو شأن أهل الزيغ والضلال كما جاء عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: (يقرأ القرآن رجلاً: فرجل له فيه هوى ونية يفليه فلي الرأس، يلتمس أن يجد فيه أمراً يخرج به إلى الناس، أولئك شرار أمتهم، أولئك يعمي الله عليهم سبيل الهدى، ورجل يقرأه ليس له فيه هوى ولا نية يفليه فلي الرأس، فما تبين له عمل به، وما اشتبه عليه وكله إلى الله، ليتفقهن فيه فقهاً ما فقعه قوم قط، حتى لو أن أحدهم مكث عشرين سنة لبيعن الله له من يبين له الآية التي أشكلت عليه، أو يفهمه إياها من قبل نفسه)<sup>(٢)</sup>، قال

(١) إعلام الموقعين (٤ / ٥٨).

(٢) ذكره شيخ الإسلام بإسناده في مجموع الفتاوى (١٧ / ٣٩٤).

ابن كثير: (فمن رد ما اشتبه إلى الواضح منه، وحكّم مُحكّمه على متشابهه عنده فقد اهتدى، ومن عكس انعكس)<sup>(١)</sup>، وكقاعدة جماع الدين ألا يعبد إلا الله وأن لا يعبد الله إلا بما شرع، وكقاعدة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ونحو ذلك مما قعده علماء الفقه وأصوله.

### ثالثاً: الإِعداد الخاص للدعاة والعلماء للقيام بواجبهم

ينبغي إعداد العلماء والدعاة للقيام بواجبهم في هداية الناس للطريق المستقيم، ورد الأفكار المنحرفة، ونشر نور النبوة بين الناس؛ لأنه كلما قلّ نور النبوة وقع الشر، وكثرت الفتن، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (إذا انقطع عن الناس نور النبوة وقعوا في ظلمة الفتن، وحدث البدع والفجور، ووقع الشر بينهم، وقال مالك بن أنس: إذا قلّ العلم ظهر الجفاء، وإذا قلت الآثار ظهرت الأهواء)<sup>(٢)</sup>، فالخير الذي يحدث للناس في حياتهم هو بقدر معرفتهم بنور الله، وانتشاره بينهم، واهتدائهم به، وإلا أصابهم من الشقاء بقدر تفریطهم فيه، قال تعالى: ﴿قَالَ أَهْبِطْ مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٣٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٣-١٢٤]، ولا بد للعلماء والدعاة أن يكونوا مرجعاً للأمة فيما يشكل عليها من الأدلة، أو ما يشته من أحوال الزمان وأزماته، فإن سكوت العلماء وقادة الفكر عن إعطاء الدواء المقنع الشافي لما تعاني منه الأمة من أزمات، والفقه المرحلي في التعامل

(١) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير (ص: ٢٠٥).

(٢) مجموع الفتاوى (١٧/٣١٠).

معها، والاهتداء الواضح بمنهج النبي ﷺ في التعامل مع الأحداث والأزمات في أوقات الضعف والقوة، وإنزال كل فقه في موضعه الصحيح؛ يفتح المجال لحدّثاء الأسنان ليتكلموا بغير علم، فلا بد للعلماء من إجابات شافية لكثير من الأسئلة التي تدور في أذهان الشباب المسلم، والتي أصبحت تنمو من خلال القنوات الفضائية؛ لأنّه إن سكت العلماء تحدّث غيرهم فضلّوا، وأضلّوا، وكذلك ليقوموا بالرد على أصحاب الفكر المنحرف، فإنّ عدم تصدي العلماء لأصحاب الفكر المنحرف والرد على ما يثيرونه من شبه، وفضح انحرافهم على الملأ هو من أسباب انتشار هذا الفكر، ولهذا تصدى أصحاب النبي ﷺ له، وبينوا انحراف أصحابه، فإنّ أنجح الطرق في محاربة الباطل دحضه بالحق، ومقابلة الشبه بالحجة كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣]، فأهل الفكر المنحرف يظهرون دائماً عند انقباض العلم والفقه السليم، وضعف انتشاره، وغياب العلماء الراسخين، والدعاة الصالحين، أو عدم الالتزام برأيهم، والتشكيك في علمهم، فإن الذين قاتلوا علينا لم يأخذوا بعلمه، ولم يهتدوا بحجج ابن عباس التي ساقها إليهم، وكان منهجهم التشكيك فيهم وفي علمهم.

ولابد من إسناد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأهل العلم والفضل الذين يتم إعدادهم علمياً وتربوياً لذلك، وعدم ترك ذلك لضعفاء الفقه، وحدّثاء الأسنان، وسفهاء الأحلام، وإنشاء مؤسسات تقوم بنشر الفضيلة ومحاربة الرذيلة؛ حتى لا يترك أمر الدعوة لمن ضعف فقههم، وقلّ

علمهم فيما دق من الأمور، قال النووي: (إنما يأمر وينهى من كان عالماً بما يأمر به وينهى عنه؛ وذلك يختلف باختلاف الشيء، فإن كان من الواجبات الظاهرة، والمحرمات المشهورة كالصلاة والصيام، والزنا والخمر ونحوها، فكل المسلمين علماء بها، وإن كان من دقائق الأفعال والأقوال، وما يتعلق بالاجتهاد لم يكن للعوام مدخل فيه، ولا لهم إنكاره بل ذلك للعلماء)<sup>(١)</sup>، فبعض الناس يتصدر للدعوة لكنه لا يفرق بين ما ينبغي أن يتكلم فيه، وما يسكت عنه ويدعه للعلماء، فيقع بسبب ذلك في المهالك، فلا بد للدولة المسلمة من إنشاء مؤسسات ذات إعداد خاص لتأهيل العلماء الربانيين، والعمل على إبرازهم للأمة لتنتفع بعلمهم، وترجع إليهم فيما يشكل عليهم.

### رابعاً: تعليم الحقوق

هنالك حقوق عظيمة في الإسلام في تعلمها والعمل بها، يتحقق من خلال ذلك أمن المجتمع، من أبرزها ما يلي:

#### أ- تعليم حق الجماعة المسلمة وحاكمها:

يجب أن يُعلّم الفرد المسلم لزوم جماعة المسلمين وإمامهم، وموالاتهم، وإدراك عاقبة الخروج عن جماعتهم، وتشتيت أمرهم، وزرع الاختلاف والنزاع بينهم، فإن من الأصول العظيمة التي أكدها الإسلام وأمر بها؛ التزام الجماعة والاتلاف معهم، وعدم الاختلاف والخروج عليهم، ونقصد

(١) ينظر: صحيح مسلم بشرح النووي (٢/٢٣).



بذلك جماعة العلماء والأمرء، كما قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، قال السعدي في تفسير هذه الآية: (فإن في اجتماع المسلمين على دينهم، وائتلاف قلوبهم يصلح دينهم وتصلح دنياهم، وبالاجتماع يتمكنون من كل أمر من الأمور، ويحصل لهم من المصالح التي تتوقف على الائتلاف ما لا يمكن عدها، من التعاون على البر والتقوى، كما أن بالافتراق والتعادي يختل نظامهم، وتقطع روابطهم، ويصير كل واحد يعمل ويسعى في شهوة نفسه ولو أدى إلى الضرر العام)<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣١-٣٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الْإِثْنَيْنِ أَبَعْدُ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزِمِ الْجَمَاعَةَ، مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَذَلِكُمْ الْمُؤْمِنُ)<sup>(٢)</sup>، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (فَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذُّبُّ الْقَاصِيَةَ)<sup>(٣)</sup>، وعن

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: ١٤٢).

(٢) أخرجه أحمد في المسند، حديث رقم: (٢١٥٦)، والترمذي في السنن، حديث رقم: (٢٠٩١)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، حديث رقم: (٢٢٠٦).

(٣) أخرجه أحمد في المسند، حديث رقم: (٢٦٢٤٢)، وأبو داود في السنن، حديث رقم: (٤٦٠)، والنسائي في الكبرى، حديث رقم: (٨٣٨)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود، حديث رقم: (٥٤٧).

عرفجة بن شريح الأشجعي قال: رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَخْطُبُ النَّاسَ فَقَالَ: (إِنَّهُ سَيَكُونُ بَعْدِي هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ، فَمَنْ رَأَيْتُمُوهُ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ، أَوْ يُرِيدُ يَفْرُقُ أَمْرَ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَأَيْنَا مَنْ كَانَ فَاقْتُلُوهُ، فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ يَرْكُضُ)<sup>(١)</sup>، فَإِنَّ الشَّدْوَذَ هُوَ سَبَبُ الْوُقُوعِ فِي الْفِتَنِ وَالْمَهَالِكِ، وَلِهَذَا فَالْخَوَارِجُ خَرَجُوا عَنِ الْجَمَاعَةِ فَمَرَقُوا فِي نَهَايَةِ أَمْرِهِمْ عَنِ الدِّينِ، وَشَدَّدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى خَطَرِ مَخَالَفَةِ الْجَمَاعَةِ، وَأَكَّدَ عَلَى أَهْمِيَةِ الْبَقَاءِ فِي الْجَمَاعَةِ، مَعَ النَّصِيحِ لِلرَّاعِي وَالرَّعِيَةِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ النَّاسَ إِذَا تَفَرَّقُوا فَسَدُوا وَهَلَكُوا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنَزَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وَإِذَا اجْتَمَعُوا صَلَحُوا، وَسَعَدُوا، وَمَلَكُوا، فَإِنَّ الْجَمَاعَةَ رَحْمَةٌ، وَالْفِرْقَةُ عَذَابٌ، فَعَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ حَذِيفَةَ بْنَ الْيَمَانَ يَقُولُ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: (نَعَمْ)، قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: (نَعَمْ، وَفِيهِ دَخْنٌ)، قُلْتُ: وَمَا دَخْنُهُ؟ قَالَ: (قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هُدًىي تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ)، قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: (نَعَمْ دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا)، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا. فَقَالَ: هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِاللِّسَانِ، قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟

(١) أخرجه أحمد في المسند، حديث رقم: (١٧٥٧٩)، وأبو داود في السنن، حديث رقم:

(٤١٣٤)، والنسائي في الكبرى، حديث رقم: (٣٩٥٤)، وصححه الألباني في صحيح سنن

النسائي، حديث رقم: (٤٠٣٤).

قَالَ: (تَلَزُمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ)، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ: (فَاعْتَرِلْ تِلْكَ الْفِرْقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعْصَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ)<sup>(١)</sup>، ولا يجوز تكفير الحاكم المسلم والخروج عليه بتأويلات لم يأذن الله بالخروج عليه بسببها كما جاء عن جنادة بن أبي أمية قال: دَخَلْنَا عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ وَهُوَ مَرِيضٌ فَقُلْنَا: حَدِّثْنَا أَصْلَحَكَ اللَّهُ بِحَدِيثٍ يَنْفَعُ اللَّهُ بِهِ سَمْعَتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: (دَعَانَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَايَعَنَا فَمَا أَخَذَ عَلَيْنَا أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، قَالَ: إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ)<sup>(٢)</sup>، قال ابن تيمية: (من الأصول التي دلت عليها النصوص، أن الإمام الظالم يؤمر الناس بالصبر على جوره وظلمه وبغيه ولا يقاتلونه كما أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غير حديث، فلم يأذن في دفع البغي مطلقاً بالقتال)<sup>(٣)</sup>، فلو أدرك المسلم أن الجماعة هي سفينة الجميع، وأن أي خرق فيها سيؤدي إلى غرقها فإنه لا بد أن يحافظ عليها كما جاء عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة، حديث رقم: (٣٣٣٨)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة المسلمين عند ظهور الفتن، حديث رقم: (٢٤٣٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سترون، حديث رقم: (٦٥٣٢)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الإمام في غير معصية، حديث رقم: (٣٤٢٧).

(٣) الاستقامة (١/٣٢).

بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلُهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيْبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَّوْا جَمِيعًا<sup>(١)</sup>، فلا بد أن نربي أفراد المجتمع على أن أمن الفرد لا ينفك عن أمن الجماعة، وأنه لا اجتماع من غير أمير مطاع فيهم، ومن راجع وقائع التاريخ وما يقع على الناس من مفسدات عظيمة بسبب هدمهم لأنظمة قائمة ولو كان فيه قدر كبير من الظلم، يدرك الإنسان حكمة الشرع في تحريم الخروج على الحاكم ولو كان ظالمًا ما لم يرى كفرًا بواحا، حيث يفقد الناس بعد ذلك الأمن في الأرواح والأعراض والأموال، ويفقدوا التعليم والعلاج، ويتعطل الإنتاج، وتتحطم البنيات.. الخ.

### ب- تعليم حرمة المسلم في دمه، وعرضه، وماله:

من الأصول العظيمة التي أكدها الإسلام وأمر بها موالاته كل من هو مؤمن من أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سواء كان ظالمًا لنفسه، أو مقتصدًا، أو سابقًا بالخيرات، وأن يعادي كل من عادى أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن يعلم أن موالاته المؤمنين والبراءة من الكافرين واجب، كما قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَلَا تَتَذَكَّرُونَ

أَنْ جَعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ [النساء: ١٤٤]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، حديث

عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿ [التوبة: ٢٣]، فعلينا أن نربي أبناءنا على موالاة المؤمنين سواء كانوا من أهله، أو بلده، أو مذهبه، أو جماعته، أو لونه، أو لم يكونوا كذلك، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجْهَهُمْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٢]، وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقْتِلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ٩-١٠].

وفي حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى) (١)، وعن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا) (٢)، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَتَاجَسُوا، وَلَا تَبَاغُضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى يَبِعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ؛ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، حديث رقم: (٤٦٨٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، حديث رقم: (٤٥٩)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، حديث رقم: (٤٦٨٤).



هَاهُنَا، وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ وَمَالُهُ وَعَرَضُهُ<sup>(١)</sup>.

بهذا جعل الله عباده المؤمنين متوالين لا متعادين، إخوة متحابين لا متباغضين، متناصرين لا متناحرين، متراحمين متعاطفين، أمرهم بالائتلاف في كلِّ حال، ونهاهم عن الافتراق على الدوام، وحرّم عليهم كل ما يؤدي إلى ذلك من الغيبة والنميمة، والتحاسد والتباغض ونحو ذلك، ولا يجوز في دين الله أن يوالي الإنسان طائفة، ويبغض أخرى بالظن والهوى لا بالإيمان والهدى، فالخوارج ومن سار على دربهم في كلِّ زمان هم الذين يهدمون هذا الأصل؛ ولذا يصل بهم الشيطان والهوى والجهل إلى ما أخبر به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو الصادق المصدوق بأنهم: (يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَيَدْعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ)، فهم أول فرقة كفرت المسلمين، واستحلت دماءهم المعصومة مع أنه من المقرر شرعاً: أن يثدد في مسألة تكفير المسلم، وأنه لا يجوز تكفير مسلم إلا بتوفر شروط وانتفاء موانع، ولا ينبغي لعوام الناس أن يتكلموا في ذلك، ولهذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرٌ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ)<sup>(٢)</sup>، قال الشوكاني: (اعلم أن الحكم على الرجل المسلم بخروجه من دين الإسلام، ودخوله في الكفر؛ لا ينبغي لمسلم

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب في البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه، حديث رقم: (٤٦٥٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب من كفره أخاه بغير تأويل فهو كما قال، حديث رقم: (٥٦٣٩)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان حال من قال لأخيه المسلم يا كافر، حديث رقم: (٩٢).

يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقدم عليه إلا برهان أو ضح من شمس النهار<sup>(١)</sup>، والأصل في دماء المسلمين، وأموالهم، وأعراضهم، أنها معصومة محرمة من بعضهم على بعض لا تحل إلا بإذن الله ورسوله، كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما خطب في حجة الوداع، ففي حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خطب الناس يوم النحر فقال: ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟) قَالُوا: يَوْمٌ حَرَامٌ، قَالَ: (فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟) قَالُوا: بَلَدٌ حَرَامٌ، قَالَ: (فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟) قَالُوا: شَهْرٌ حَرَامٌ، قَالَ: (فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحَرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فَأَعَادَهَا مِرَارًا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَوْ صَيَّتْهُ إِلَى أُمَّتِهِ فَلْيُبْلِغِ الشَّاهِدُ الْعَائِبَ لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ)<sup>(٢)</sup>.

هل يمكن لعاقل يريد الله والدار الآخرة أن يتعدى على جماعة المسلمين، أو ينتهك حرمتهم بعد هذه الأدلة بتأويلات وهمية باطلة، فأغلب الذي أصابنا لأننا نسينا هذه المعاني، وأصبح من السهل أن يتعدى المسلم على مال أخيه، وعرضه، ودمه، أما إذا كان هذا الأصل بارزاً في حياتنا فلا يمكن لهذه الدعوات المنحرفة أن تجد مجالاً بيننا كما قال تعالى: ﴿فَسُئِلُوا

**حَطًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ**

(١) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار (٤ / ٥٨٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى، حديث رقم: (١٦٣٣)، ومسلم في كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، حديث رقم: (٣١٧٩).

الْقِيَمَةِ وَسَوْفَ يُدَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿المائدة: ١٤﴾.

إننا نرى اليوم الولاء للمفاهيم الضيقة، الولاء للمذهب، والولاء للأرض، والولاء للوطن دون نظر للدين، والولاء للون، والولاء للغة، ويسقط أصل الولاء الذي أمر الله به في وسط هذه الولاءات الكثيرة فحدث ما حدث، فإذا تعلّم المؤمن أنّ أكرم الناس عند الله أتقاهم، وأن زوال الدنيا أهون عند الله من قتل نفس مؤمنة، فلا أظن أن هنالك من يتجرأ على دم مسلم لمجرد ظن أو شبهة، ولذا قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً﴾ [النساء: ٩٢]، (هذه الصيغة من صيغ الامتناع، أي: يمتنع ويستحيل أن يصدر من مؤمن قتل مؤمن، أي: متعمداً وفي هذا الإخبار بشدة تحريمه، وأنه مناف للإيمان أشد منافاة، وإنما يصدر ذلك إما من كافر، أو فاسق قد نقص إيمانه نقصاً عظيماً، ويخشى عليه ما هو أكبر من ذلك، فإن الإيمان الصحيح يمنع المؤمن من قتل أخيه الذي عقد الله بينه وبين الأخوة الإيمانية التي من مقتضاها محبته وموالاته، وإزالة ما يعرض لأخيه من الأذى وأي أذى أشد من القتل)<sup>(١)</sup>؛ ولذا قال تعالى في الآية التي تليها: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيماً﴾ [النساء: ٩٣]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَزَوَالِ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ)<sup>(٢)</sup>، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السَّلَاحَ

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: ١٩٢).

(٢) أخرجه الترمذي في السنن، حديث رقم: (١٣١٥)، والنسائي في الكبرى، حديث رقم:

(٣٩٢١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢/٩٠٥) (٥٠٧٧).

فَلَيْسَ مِنَّا<sup>(١)</sup>، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصَبْ دَمًا حَرَامًا)<sup>(٢)</sup>، قال ابن العربي: (ثبت النهي عن قتل البهيمة بغير حق والوعيد في ذلك، فكيف بقتل الآدمي؟! فكيف التقي الصالح؟!)<sup>(٣)</sup>.

### ج- تعليم منهج الإسلام في علاقة المسلم بغير المسلم:

إن الأصل في علاقة المسلم مع غير المسلم ليست الحرب والعداء؛ وإنما الرحمة والسلام، والبر والعدل، ما لم يظهر العداء ويعلن الحرب للإسلام والمسلمين، والأدلة التي فيها بغض الكافر في الإسلام المراد بها بغض كفره، وليس من لازمها استباحة شيء من دمه أو عرضه أو ماله إلا إذا كان محارباً، فلا يجوز في الشرع ظلمه، وعدم العدل فيه، وإيذاؤه، والاعتداء على نفسه أو عرضه، أو ماله إذا كان مسالماً، أو مستأمناً، أو معاهدًا؛ كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوَجَّدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا)<sup>(٤)</sup>، وقد جاء عن سليمان بن يسار (أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَبْعَثُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ إِلَى خَيْبَرَ فَيُخْرِصُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ يَهُودِ خَيْبَرَ قَالَ: فَجَمَعُوا لَهُ حَلِيًّا مِنْ حَلِيٍّ نِسَائِهِمْ فَقَالُوا لَهُ: هَذَا لَكَ وَخَفَّفْ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: من حمل...، حديث رقم: (٦٥٤٣)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: من حمل...، حديث رقم: (١٤٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الديات، باب قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾، حديث رقم: (٦٣٥٥).

(٣) فتح الباري (١٢ / ٢٣٤).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجزية، باب إثم من قتل معاهدًا بغير جرم، حديث رقم: (٢٩٣٠).

عَنَّا وَتَجَاوَزَ فِي الْقَسْمِ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ: يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ وَاللَّهِ إِنَّكُمْ لَمِنَ أَبْغَضِ خَلْقِ اللَّهِ إِلَيَّ، وَمَا ذَاكَ بِحَامِلِي عَلَى أَنْ أَحِيفَ عَلَيْكُمْ، فَأَمَّا مَا عَرَضْتُمْ مِنَ الرَّشْوَةِ فَإِنَّهَا سُحْتُ وَإِنَّا لَا نَأْكُلُهَا، فَقَالُوا: بِهَذَا قَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ<sup>(١)</sup>، وَلَا يَمْنَعُ الْإِسْلَامَ مِنْ بَرِّهِمْ وَالْإِحْسَانَ إِلَيْهِمْ مَا دَامُوا عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مَحَبَبٌ لَهُمْ الْإِسْلَامَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]، قَالَ السَّعْدِيُّ: (أَي: لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ، وَالْمَكْفَاةِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالْقِسْطِ لِلْمَشْرُوكِينَ مِنْ أَقَارِبِهِمْ وَغَيْرِهِمْ، حَيْثُ كَانُوا بِحَالٍ لَمْ يَنْصَبُوا لِقِتَالِكُمْ فِي الدِّينِ، وَالْإِخْرَاجِ مِنْ دِيَارِكُمْ، فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَصْلُوهُمْ فَإِنْ صَلَّتْهُمْ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ لَا مَحْذُورَ فِيهَا وَلَا مَفْسَدَةَ)<sup>(٢)</sup>، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَفْهَمَ مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي تَنْهَى عَنِ مَوَالَاةِ الْكَافِرِينَ جَوَازَ قَتْلِهِمْ، وَظَلْمِهِمْ، وَالْإِعْتِدَاءَ عَلَيْهِمْ، إِذَا لَمْ يَكُونُوا مُحَارِبِينَ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، أَمَّا بَغْضُ الْكَافِرِ عَمُومًا وَعَدَمُ مَوَدَّتِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢]،

(١) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب المساقاة، حديث رقم: (١٤٥١)، وروى بعضه الإمام أحمد في المسند، حديث رقم: (٤٥٣٨، ١٤٤٢٥)، وأبو داود في السنن، حديث رقم: (٢٩٦٣)، وقال الألباني في صحيح أبي داود: حسن صحيح، حديث رقم: (٢٩١٠).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: ٨٥٧).



فهذه لا غضاضة فيها لأن بغض من يسيء الأدب مع الناس مطلوب، فكيف بمن يسيء الأدب مع رب الناس ويجعله ثالث ثلاثة، ويصفه بالفقر كما فعلت اليهود والنصارى<sup>(١)</sup>، وأما الكافر الذي لا يقف موقف المسالم من الإسلام والمسلمين، ويغضهم ويؤذيهم من أجل إيمانهم بالله كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَقْمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨]، ويسعى لصددهم عن دينهم كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ أَسْتَطَعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧]، فكيف ينقمون علينا عداوتهم وبغضهم، والتصدي لبغيتهم وظلمهم؟! وهم الذين آذوا الإسلام والمسلمين كما قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا لِنْفِطِيرًا﴾ [النساء: ٧٥]، فيوم أن يجنحوا للسلم سيجدون قول الله تعالى للمؤمنين: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنفال: ٦١]؛ ولذا فنحن أصحاب قيم أصيلة لا مجال للهوى ولو كان ذلك على أعداء الله ورسوله والمؤمنين قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَتَانُ قَوْمٍ عَلَىٰ آلَاءِ تَعَدَّلُوا أَعَدَّلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨]، ونحن أمة رسولها خاطبه الله بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال تعالى في علاقتنا مع بعضنا وغيرنا: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: ١٣]،

(١) ينظر: حقيقة الإرهاب (ص: ٢٨).

فهذه قيم ومفاهيم ينبغي أن تعلّم وترفع حتى يظهر المجتمع المتسامح، المتحاب، المتعاون، الذي يحمل رسالة الإسلام الحق للناس في الأرض، وتظهر الأمة على الصورة التي يريدّها الله، لا التي يريدّها الأعداء لصد الناس عن الدين الحق.

### خامساً: تعليم التوسط في الأمور التي هي منهج المسلم

الوسطية والاعتدال من أبرز مميزات الإسلام وأهله عن غيرهم من الأديان، وأبرز خصائص أهل السنة والجماعة عن غيرهم من فرق أهل الإسلام، وقد علّمنا الله تعالى في صلاتنا أن نردد قوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦-٧]، فصراط من أنعم الله عليهم وسط بين من أنكر الإله وقال: إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر؛ كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤]، وبين من عبد الله وعبد غيره من بشر وملائكة وجن وحجر وشمس وقمر ونحو ذلك، فجاء الإسلام بعبادة الله وحده دون سواه.

فهو وسط بين من غلوا في أنبيائهم وصالحينهم، واتخذوهم آلهة من دون الله كما فعلت النصارى كما قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]، وبين من كذبوهم وأذوهم وقتلوهم كما فعلت اليهود كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَرَأْسَنَّا إِلَيْهِمْ رَسُولًا قُلْنَا كَلِمًا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة: ٧٠]، ولهذا

قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ: (لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ)<sup>(١)</sup>، فالمؤمنون آمنوا بالله، وآمنوا برسله، وأطاعوهم وعزروهم ونصروهم وأحبوهم، ولم يتخذوهم أرباباً من دون الله كما قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

ووسط بين الذين شبهوا الله بخلقه، وبين الذين نفوا صفات الله التي أثبتها في كتابه ونطق بها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سنته، بدون تمثيل ولا تشبيه، ولا تعطيل ولا تحريف ولا إلحاد.

ووسط بين الذين طلقوا الدنيا وصاروا رهباناً في الأديرة، وبين الذين آثروها على الآخرة وباعوا آخرتهم بعرض من الدنيا قليل، فجمع الإسلام بين عبودية الله والعمل لنيل الدار الآخرة، والسعي في أرضه تعميراً وعملاً يحقق رفعة الفرد والجماعة المسلمة، وذلك لأنَّ العمل إذا لم يصد عن ذكر الله فهو من ذكر الله إذا اقترن بالنية الصالحة، وأنَّ الذم الذي ورد في الكتاب والسنة هو فقط للدنيا المانعة من إرادة الدار الآخرة، أما مجرد ترك الدنيا فإنه لا حمد فيه، وليس ذلك في كتاب الله<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ

مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ [مريم: ١٦]، حديث رقم: (٣١٨٩).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٠/٤٢، ٤٨)، (٢٦/٢٠٣)، وكتاب الوسطية في القرآن (ص: ١٨٣).

ولهذا أوصى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذا الأصل، كما في حديث بريدة الأسلمي قال: خَرَجْتُ ذَاتَ يَوْمٍ لِحَاجَةٍ، فَإِذَا أَنَا بِالنَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَمْشِي بَيْنَ يَدَيْ فَأَخَذَ بِيَدِي فَأَنْطَلَقْنَا نَمْشِي جَمِيعًا، فَإِذَا نَحْنُ بَيْنَ أَيْدِينَا بِرَجُلٍ يُصَلِّي يُكثِرُ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَتْرَاهُ يُرَائِي؟) فَقُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَتَرَكَ يَدِي مِنْ يَدِهِ، ثُمَّ جَمَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يُصَوِّبُهُمَا وَيَرَفَعُهُمَا وَيَقُولُ: (عَلَيْكُمْ هَدْيًا قَاصِدًا، عَلَيْكُمْ هَدْيًا قَاصِدًا، عَلَيْكُمْ هَدْيًا قَاصِدًا، فَإِنَّهُ مَنْ يُشَادَّ هَذَا الدِّينَ يَغْلِبْهُ)<sup>(١)</sup>، وقال: (سَدِّدُوا، وَقَارِبُوا، وَاعْدُوا، وَرُوحُوا، وَشَيْءٌ مِنَ الدَّلْجَةِ، وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبَلَّغُوا)<sup>(٢)</sup>، قال ابن حجر: (قال ابن المنير: فِي هَذَا الْحَدِيثِ عَلَّمَ مِنْ أَعْلَامِ النَّبَوَّةِ، فَقَدَّرَ رَأْيُنَا وَرَأَى النَّاسَ قَبْلَنَا أَنْ كُلَّ مَنْتَطِعٍ فِي الدِّينِ يَنْقَطِعُ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ مَنْعَ طَلَبِ الْأَكْمَلِ فِي الْعِبَادَةِ فَإِنَّهُ مِنْ الْأُمُورِ الْمَحْمُودَةِ؛ بَلْ مَنْعَ الْإِفْرَاطِ الْمُؤَدِّيِّ إِلَى الْمَلَالِ، أَوْ الْمُبَالِغَةِ فِي التَّطَوُّعِ الْمُفْضِيِّ إِلَى تَرْكِ الْأَفْضَلِ، أَوْ إِخْرَاجِ الْفَرَضِ عَنْ وَقْتِهِ كَمَا بَاتَ يُصَلِّي اللَّيْلَ كُلَّهُ وَيَغَالِبُ النَّوْمَ إِلَى أَنْ غَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ فِي آخِرِ اللَّيْلِ فَنَامَ عَنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ فِي الْجَمَاعَةِ، أَوْ إِلَى أَنْ خَرَجَ الْوَقْتُ الْمُخْتَارَ، أَوْ إِلَى أَنْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ فَخَرَجَ وَقْتُ الْفَرِيضَةِ.. قَوْلُهُ: (فَسَدِّدُوا)، أَيُّ: أَلْزَمُوا السَّدَادَ وَهُوَ الصَّوَابُ مِنْ غَيْرِ إِفْرَاطٍ وَلَا تَفْرِيطٍ، قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: السَّدَادُ التَّوَسُّطُ فِي الْعَمَلِ.. وَقَوْلُهُ فِي رِوَايَةِ ابْنِ أَبِي ذُئْبٍ: (الْقَصْدُ، الْقَصْدُ) بِالنَّصْبِ فِيهِمَا عَلَى الْإِعْرَاءِ، وَالْقَصْدُ: الْأَخْذُ

(١) رواه أحمد في المسند، حديث رقم: (١٨٩٥٠، ٢١٨٨٥، ٢١٩٧٥)، وقال ابن حجر في الفتح:

حديث حسن، (٣٥٩/١١).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل، حديث رقم: (٥٩٨٢).

بِالْأَمْرِ الْأَوْسَطِ<sup>(١)</sup>، ولهذا كان جماع التقوى الموازنة بين فعل المأمور وترك المحظور، وكانت الحياة الاجتماعية للمسلم موازنة بين الخلطة والعزلة، فاختيار المخالطة مطلقاً خطأ لأنه لا بد للعبد من أوقات ينفرد فيها بنفسه في دعائه، وذكره، وصلاته، وتفكيره، ومحاسبته، وإصلاح قلبه، وما يختص به من الأمور التي لا يشركه فيها غيره.

كما أن اختيار العزلة مطلقاً خطأ لأنه لا بد من اختلاط المسلم بإخوانه لصلاته، وحجه، وجهاده، وتجارته، فالتوسط والتوازن بين الأمرين هو دين الله بمقدار ما يحتاج إليه كل إنسان من هذا، وهذا هو الأصلح ومنهج النبوة<sup>(٢)</sup>.

كذلك الموازنة والتوسط والاعتدال في الحب والبغض؛ لأن بعض الناس إذا أحب؛ أحب مطلقاً معرضاً عن السيئات، وإذا أبغض؛ أبغض مطلقاً معرضاً عن الحسنات، ولكن المؤمن يجعل حبه وبغضه معتدلاً متوازناً مستقيماً على ميزان الكتاب والسنة.

ولما كان أصعب شيء في تربية النفس تربيته على الاعتدال والوسطية، وأن أكثر الناس بين غال وجاف؛ ولذا كانت مهمة الأنبياء وأتباعهم شاقة، لأنهم يحملون الناس على الاستقامة والوسطية والاعتدال التي كثيراً ما تخالف هوى النفس، لكنها محققة لسعادة الدارين؛ ولذا مدح الله هذه الأمة بقوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ٤٣]، لأن الوسط صفة مدح وعدل، ونهى

(١) فتح الباري (١١/ ٣٥٩ - ٣٦٠).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٠ / ١٤٢، ١٤٨)، (١٠ / ٤٢٦).



عن الغلو في قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١]، لأنه صفة ذم ونقص واعوجاج، وقد أكد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النهي عن هذه الصفة في قوله: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا كُمْ وَالْغُلُوُّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ)؛ وذلك لأن عواقب الغلو وعدم الاعتدال على الفرد والجماعة كبيرة، فهي تبعد الفرد عن الجماعة والدين، وهي مهددة لوحة الجماعة وأمنها.

**سادساً: إبراز يسر هذا الدين، وتعليمه كمنهج في التدين**

**الحق:**

من الأصول البارزة في الإسلام التي ينبغي على المربي أن يبرزها لطلابه سماحة هذا الدين ويسره، وأن الله رفع به الحرج والآصار والأغلال التي كانت على غيرنا من الأمم، ولم يكلف الله فرداً ولا جماعة إلا ما في وسعهم<sup>(١)</sup>، وأن الأصل في الدين والتدين اليسر، وترك العسر على النفس والناس، وقد كثرت الأدلة التي تدل على هذا الأصل، من ذلك قوله تعالى: ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٣٣]، وقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] وقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً أَتَهَا﴾ [الطلاق: ٧]، وقوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]،

(١) قال الزمخشري: (الوسع هو ما يسع الإنسان ولا يضيق عليه، ولا يحرج فيه، أي لا يكلفها إلا ما يتسع فيه طوقه، ويتيسر عليه دون مدئ الطاقة والمجهود... لأنه كان في إمكان الإنسان وطاقته أن يصلي أكثر من الخمس، ويصوم أكثر من شهر، ويحج أكثر من حجة)، الكشاف (٥٢٠/١).

وقوله: ﴿هُوَ أَجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]،  
 وقوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]،  
 وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا  
 وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدَّلْجَةِ)<sup>(١)</sup>، وقال  
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا وَبَشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا)<sup>(٢)</sup>، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:  
 (إِنَّ خَيْرَ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ، إِنَّ خَيْرَ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ)<sup>(٣)</sup>، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ اللَّهَ  
 لَمْ يَعْثِبْنِي مُعْتَبًا وَلَا مُتَعْتَبًا وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مَيْسِرًا)<sup>(٤)</sup>، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:  
 (حُرِّمَ عَلَيَّ النَّارِ كُلُّ هَيْئٍ لَيْسَ سَهْلٌ قَرِيبٍ مِنَ النَّاسِ)<sup>(٥)</sup>، وعن أَبِي هُرَيْرَةَ  
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَبَالَ فِي الْمَسْجِدِ، فَتَنَاوَلَهُ النَّاسُ، قَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ  
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (دَعُوهُ وَهَرِيقُوا عَلَيَّ بَوْلَهُ سَجَلًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ ذُنُوبًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا  
 بُعِثْتُمْ مَيْسِرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ)<sup>(٦)</sup>، إلى غير ذلك من أدلة كثيرة؛ ولهذا كان

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب يسر الدين، حديث رقم: (٥٩٨٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب ما كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتخولهم،  
 حديث رقم: (٦٧).

(٣) أخرجه أحمد في المسند، حديث رقم: (١٥٣٧١)، والبخاري في الأدب المفرد، حديث  
 رقم: (٣٤١)، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد، حديث رقم: (٢٦٠)، والسلسلة  
 الصحيحة، حديث رقم: (١٦٣٥).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطلاق، باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً، حديث  
 رقم: (٢٧٠٣).

(٥) أخرجه أحمد في المسند، حديث رقم: (٣٧٤٢) واللفظ له، والترمذي في السنن، حديث رقم:  
 (٢٤٨٨)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب، حديث رقم: (١٧٤٤).

(٦) ينظر: القواعد الكلية والضوابط الفقهية في الشريعة الإسلامية، للدكتور محمد عثمان بشير  
 (ص: ١٨٧).

تقصّد العسر في التدين شيئاً مرفوضاً شرعاً ولو كان ذلك بنية التقرب إلى الله، ولذلك قال العلماء: (ما من مشقة إلا وجعل الله فيها رخصة)<sup>(١)</sup>، ومن هنا أصّلت قاعدة: (المشقة تجلب التيسير)<sup>(٢)</sup>، فشرعت رخصة التيمم عند عدم وجود الماء، وجمع الصلاة وقصرها في السفر، وجمعها في الحضر عند وجود المشقة، وكما شرع الحج والجهاد لمن استطاع إليهما سبيلاً، ولذا عندما أراد بعض الصحابة أن يقوم ليله في عبادة الله فلا ينام، وآخر يصوم نهاره فلا يفطر، وآخر لا يريد أن يتزوج النساء، ورابع لا يستظل بظل، وخامس لا يأكل اللحم، نهاهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ذلك لما يترتب عليه من مشقة ومفسدة، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٢]، مبيّناً لهم أن زهد الإنسان ينبغي أن يكون فيما يضره، أو يزهد فيما لا ينفعه، أما الزهد في النافع فجهل وضلال لم يشرعه الله<sup>(٣)</sup> كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ)<sup>(٤)</sup>، ولا ينبغي أن تفهم الأدلة التي تحث على أخذ الدين بقوة والتمسك به على أنها تتعارض مع مبدأ اليسر، أو تدل على التعسير، كقوله تعالى: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٦٣]، وقوله:

(١) انظر: الأشباه والنظائر للسبكي (١/٤٩)، والمثبور في القواعد الفقهية للزركشي (٣/١٧٤)،

والأشباه والنظائر لابن نجيم (ص: ٦٥)،

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/٥١١ - ٥١٢).

(٣) المصدر السابق (١٠/٥١١ - ٥١٢).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز، حديث رقم:

(٤٨١٦).

﴿يَبْحَثِي خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَاهُ الْحَكْمَ صَبِيحًا﴾ [مريم: ١٢]، وقوله: ﴿فَأَسْتَمْسِكُ بِالَّذِي أُوْحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف: ٤٣]، فإن الله أمر بالتمسك ونهى عن التشدد.

ومن رحمة الله بعباده أن يسر لهم دينه، ولم يكلفهم ما لا يطيقون، وحتى ما هو مقدور عليه وفيه مشقة على بعضهم في بعض الأحوال، جعل فيه رخصة كالصوم للمريض والمسافر، والحج لمن لا يستطيع إليه سبيلا، والجهاد للأعمى والأعرج والمريض، وهناك عبادات شرعها الله بقدر ميسر، نهى العباد أن يأتوا منها في باب النوافل ما هو فوق طاقتهم، كالوصول في الصوم، وقيام الليل كله، في العبادة ونحوها، وهناك أمور فيها مشقة وعسر لم يشرعها لعباده، والناس يفعلونها من باب التقرب وقد نهى عنها، كترك الزواج وأكل اللحم، وترك الجلوس في الظل ونحوه، وهو نوع من الضلال والتنطع، وأمر الله عباده في عبادته أن يرفقوا بأنفسهم، فعن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَتْ عِنْدِي امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: (مَنْ هَذِهِ؟) قُلْتُ: فَلَانَةٌ لَا تَنَامُ بِاللَّيْلِ، فَذُكِرَ مِنْ صَلَاتِهَا، فَقَالَ: (مَهْ عَلَيْكُمْ مَا تُطِيقُونَ مِنَ الْأَعْمَالِ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا)<sup>(١)</sup>، فمن خلال معرفة يسر هذا الدين، والالتزام به ونشره بين الناس، تعليم للعباد بفضل الله عليهم، لأن تكليف النفس فوق طاقتها يؤدي إلى الانقطاع عن العمل، أو التقصير والخلل في واجبات وحقوق أخرى، أو ربما

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب ما يكره من التشديد في العبادة، حديث رقم: (١٠٨٣)، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها، باب أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن، حديث رقم: (١٣٠٧).

ترتب على ذلك فساد في جوارحهم، وأجسامهم كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ هَجَمْتَ عَيْنَكَ، وَنَفَهْتَ نَفْسَكَ)، قال الشاطبي: (فاعلم أن الحرج مرفوع عن المكلف لوجهين؛ أحدهما: الخوف من الانقطاع من الطريق، وبغض العبادة، وكرهة التكليف، وينتظم تحت هذا المعنى الخوف من إدخال الفساد عليه في جسمه، أو عقله، أو ماله، أو حاله، والثاني: خوف التقصير عند مزاحمة الوظائف المتعلقة بالعبد، المختلفة الأنواع؛ مثل قيامه على أهله وولده، إلى تكاليف أخرى تأتي في الطريق، وربما كان التوغل في بعض الأعمال شاغلا عنها، وقاطعا بالمكلف دونها، وربما أراد الحمل للطرفين على المبالغة في الاستقصاء؛ فانقطع عنهما<sup>(١)</sup>).

ولهذا فإن ما نشاهده عند بعض الناس من التشدد والغلو بقصد التقرب إلى الله تعالى نوع من الخطأ والجهل، ومظهر من مظاهر الانحراف الفكري، وهذا مما أغضب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينما بلغه ورآه عند بعض أصحابه، وهنالك من الناس من يحملون أنفسهم على العزائم، ويرفضون الرخص التي شرعها الله بقصد التقرب إلى الله، وما ذلك بمقرب إلى الله، كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخْصُهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ تُؤْتَى مَعْصِيَتُهُ)<sup>(٢)</sup>؛ لأن الذي شرع العزيمة شرع لعباده الرخصة رحمة وفضلاً على عباده، فما بال أقوام يرفضون فضل الله.

(١) الموافقات في أصول الشريعة (٢ / ٣٦٩، ٣٧٠).

(٢) أخرجه أحمد في المسند، حديث رقم: (٥٦٠٠)، وابن حبان في صحيحه، حديث رقم:

(٣٥٤)، والبيهقي في شعب الإيمان، حديث رقم: (٣٨٨٩)، وصححه الألباني في صحيح

الجامع الصغير (١ / ٣٨٣) (١٨٨٦).



سابعاً: تعليم الشمولية في أخذ الإسلام، مع الموازنة بين كافة

## الحقوق والواجبات

لابد من تربية الفرد على التصور الشامل للإسلام، وأن الدين الحق يكون بالاستجابة الكاملة قدر المستطاع لله ولرسوله قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨] ، قال السعدي: (هذا أمر للمؤمنين أن يدخلوا ﴿فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾ أي: في جميع شرائع الدين، ولا يتركوا منها شيئاً، وأن لا يكونوا ممن اتخذ إلهه هواه، إن وافق الأمر المشروع هواه فعله، وإن خالفه تركه؛ بل الواجب أن يكون الهوى تبعاً للدين، وأن يفعل ما يقدر عليه من أفعال الخير، وما يعجز عنه يلتزمه وينويه فيدركه بنيته<sup>(١)</sup>)، وقال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكُتُبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥]، وقد تواردت الأدلة الكثيرة من السنة النبوية التي تدعو إلى الموازنة بين كافة الحقوق والواجبات، ومن ذلك ما رواه عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال: أَخَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَدِّلَةً، فَقَالَ لَهَا: مَا شَأْنُكَ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا، فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا فَقَالَ: كُلْ، قَالَ: فَإِنِّي صَائِمٌ، قَالَ: مَا أَنَا بِأَكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ، قَالَ: فَأَكَلْ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ قَالَ: نَمْ، فَنَامَ ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ فَقَالَ:

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: ٩٤).

نَمْ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَالَ: سَلْمَانُ قُمْ الْآنَ، فَصَلِّيَا، فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلَا هَلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقِّ حَقَّهُ، فَاتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (صَدَقَ سَلْمَانُ)، وعن أبي العباس قال: سمعت عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَلَمْ أُخْبِرْ أَنَّكَ تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ؟) قُلْتُ: إِنِّي أَفْعَلُ ذَلِكَ، قَالَ: (فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ هَجَمْتَ عَيْنُكَ، وَنَفَهْتَ نَفْسُكَ، وَإِنَّ لِنَفْسِكَ حَقًّا، وَلَا هَلِكَ حَقًّا، فَصُمْ وَأَفْطِرْ وَقُمْ وَنَمْ)، قال ابن حجر في الشرح قوله: ((وَإِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا))، أَي: تُعْطِيهَا مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ ضَرُورَةً الْبَشَرِيَّةَ مِمَّا أَبَاحَهُ اللَّهُ لِلْإِنْسَانِ مِنَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالرَّاحَةِ الَّتِي يَقُومُ بِهَا بَدَنُهُ لِيَكُونَ أَعُونَ عَلَى عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَمِنْ حُقُوقِ النَّفْسِ قَطْعُهَا عَمَّا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى؛ لَكِنَّ ذَلِكَ يَخْتَصُّ بِالتَّعَلُّقَاتِ الْقَلْبِيَّةِ، قَوْلُهُ: «وَلَا هَلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا»، أَي: تَنْظُرُ لَهُمْ فِيمَا لِابْدَانِهِمْ مِنْهُ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْمُرَادُ بِالْأَهْلِ الزَّوْجَةِ، أَوْ أَعَمَّ مِنْ ذَلِكَ مِمَّنْ تَلْزَمُهُ نَفَقَتُهُ.. قَوْلُهُ: «فَصُمْ»، أَي: فَإِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ فَصُمْ تَارَةً وَأَفْطِرْ تَارَةً لِتَجْمَعَ بَيْنَ الْمَصْلِحَتَيْنِ، وَفِيهِ.. أَنَّ الْأَوْلَى فِي الْعِبَادَةِ تَقْدِيمُ الْوَاجِبَاتِ عَلَى الْمُنْدُوبَاتِ، وَأَنَّ مَنْ تَكَلَّفَ الزِّيَادَةَ عَلَى مَا طُبِعَ عَلَيْهِ يَقَعُ لَهُ الْخَلَلُ فِي الْغَالِبِ. وَفِيهِ الْحِصُّ عَلَى مُلَازِمَةِ الْعِبَادَةِ لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ كَرَاهَتِهِ لَهُ الشَّدِيدِ عَلَى نَفْسِهِ حِصَّهُ عَلَى الْاِقْتِصَادِ كَأَنَّهُ قَالَ لَهُ: وَلَا يَمْنَعُكَ اِسْتِعَاْلُكَ بِحُقُوقِ مَنْ ذُكِرَ أَنْ تُضَيِّعَ حَقَّ الْعِبَادَةِ وَتَتْرُكَ الْمُنْدُوبَ جُمْلَةً، وَلَكِنْ اِجْمَعْ بَيْنَهُمَا<sup>(١)</sup>، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال لي رسول الله

(١) فتح الباري (٣/ ٥٠ - ٥١)

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَا عَبْدَ اللَّهِ أَلَمْ أُخْبِرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ؟) فَقُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: (فَلَا تَفْعَلْ، صُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، فَإِنَّ لِحَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِرِزْقِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِحَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ كُلَّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَإِنَّ لَكَ بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا، فَإِنَّ ذَلِكَ صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ)، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَجِدُ قُوَّةً، قَالَ: (فَصُمْ صِيَامَ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَا تَزِدْ عَلَيْهِ)، قُلْتُ: وَمَا كَانَ صِيَامَ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: (نِصْفَ الدَّهْرِ)، فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَقُولُ بَعْدَ مَا كَبَرَ: يَا لَيْتَنِي قَبِلْتُ رُخْصَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ<sup>(١)</sup>، وعن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة زوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالت: دَخَلْتُ عَلَيَّ خُوَيْلَةَ بِنْتُ حَكِيمِ بْنِ أُمَيَّةَ بِنِ حَارِثَةَ بْنِ الْأَوْقَصِ السُّلَمِيَّةِ؛ وَكَانَتْ عِنْدَ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ قَالَتْ: فَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَذَاذَةَ هَيْتَتَهَا فَقَالَ لِي: (يَا عَائِشَةُ مَا أَبَدَّ هَيْئَةَ خُوَيْلَةَ)، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ امْرَأَةٌ لَا زَوْجَ لَهَا، يَصُومُ النَّهَارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ فَهِيَ كَمَنْ لَا زَوْجَ لَهَا، فَتَرَكَتْ نَفْسَهَا وَأَضَاعَتْهَا، قَالَتْ: فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ فَجَاءَهُ فَقَالَ: (يَا عُثْمَانُ أَرُغِبَةُ عَنْ سُنَّتِي؟ قَالَ: فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَكِنْ سُنَّتِكَ أَطْلُبُ، قَالَ: (فَإِنِّي أَنَامُ وَأُصَلِّي، وَأَصُومُ وَأَفْطِرُ، وَأَنْكِحُ النِّسَاءَ، فَاتَّقِ اللَّهَ يَا عُثْمَانُ فَإِنَّ لَأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِيْضِيْفِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَصُمْ وَأَفْطِرْ، وَصَلِّ وَنَمْ)<sup>(٢)</sup>، فهذه الأدلة

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب حق الجسم من الصوم، حديث رقم: (١٨٣٩).

(٢) أخرجه أحمد في المسند، حديث رقم: (٢٥١٠٤)، وأبو داود في السنن، حديث رقم: (١١٦٢)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، حديث رقم: (١٣٦٩).

توضح أن العبادة التي يحبها الله هي التي يجمع فيها بين الواجبات، ويؤدي فيها الإنسان ما يستطيع من المندوبات، ولا ينبغي أن يكون شيء من الحقوق على حساب شيء، ولا واجب على حساب واجب، ولا ترك الحرام على حساب التفريط في فعل الواجبات، والدين هو ما شرع الله بشموله، لا تخيير بعضه وترك بعضه، وأغلب أصحاب التدين المنحرف إذا تتبعت أحوالهم تجدهم غلوا في جوانب، وفرطوا في جوانب أخرى، ولا تجد عندهم تصوراً شمولياً للإسلام فكراً وعملاً.

### ثامناً: تعليم الأخلاق الإسلامية، والتخلق بها مع الناس

إن بناء الأمة على قاعدة الإسلام العظيمة في الأخلاق والسلوك، هو صمام أمان لأمن المجتمع وسعادته واستقراره، فإنَّ الجهل بآداب الإسلام وعدم الالتزام بها؛ أول ما يؤدي إليه إهدار حقوق الآخرين وإيذاؤهم، وزرع العداوة والبغضاء بينهم، خاصة نحن في زمان عمت فيه أخلاق أهل السوء من خلال وسائلهم المتطورة، وطرحهم الجريء، فلا بد من إعادة بناء الفرد المسلم على أخلاق الإسلام الرفيعة بصورة جادة وقوية، فإننا أمة الأخلاق العظيمة البارزة في كتاب الله، وفي سيرة نبي الإسلام، وبذلك مدحه الله عزَّوجلَّ في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وهو القائل: (إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا)<sup>(١)</sup>، والإسلام لا تنفك قيمه وأخلاقه عن مبدأ الإيمان والعبودية لله، فقد حث أن يكون القول طيباً وسديداً وصادقاً

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب صفة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم:

وحسناً وعدلاً ونحوه، فماذا بعد هذا؟! والعمل صالحاً ومحسناً وصادقاً ونحوه، والفرد متواضعاً حليماً كريماً صابراً عدلاً ونحوه، وباب الأخلاق باب واسع؛ ولكن هنالك قيم أخلاقية في إبرازها والتركيز عليها علاج للانحراف الفكري، من ذلك:

١. زرع قيم المحبة والرحمة بين المؤمنين، وعدم إيذاء المسلم، والمعاهد، وإبراز كل الأدلة التي تحث وتلزم بذلك من خلال كل مؤسساتنا التعليمية، والدعوية، والإعلامية.

٢. دعوة الناس بالحكمة والموعظة الحسنة، والرفق واللين، لا بالعنف والهوى، كما هو منهج القرآن والأنبياء جميعاً كما قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، قال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: (بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين، من غير فظاظة ولا تعنيف)<sup>(١)</sup>، وقال تعالى مخاطباً موسى وهارون عليهما السلام: ﴿أَدْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٣-٤٤]، قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا﴾: (دليل على جواز الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن ذلك يكون باللين من القول لمن معه القوة، وضمنت له العصمة.. فكيف بنا فنحن أولى بذلك، وحينئذ يحصل الأمر على مرغوبه، ويظفر بمطلوبه، وهذا واضح)<sup>(٢)</sup>.

(١) الكشاف (٣/ ٤٨٥).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٦/ ١٨١).



٣. معرفة الحقوق التي أوصى الله بها من حق الوالدين، والأرحام، والجيران، والمسلم، والعالم، والكبير، والضعيف، والغريب، والفقير، وحق المستأمن والمعاهد، بل ينبغي أن يتعلم الطفل المسلم حتى حق البهيمة ونحوها.

٤. التثبت فيما يسمعه الإنسان عن فرد، أو جماعة، حاكماً، أو محكوماً، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكَ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنْهُ أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصِيبُوهَا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦]، وقد كان منهج السلف التثبت في الأمور، مثال ذلك ما جاء عن جابر بن سمرة قال: (شكا أهل الكوفة سعداً إلى عمر رضي الله عنه فعزله واستعمل عليهم عمارة فشكوا حتى ذكروا أنه لا يحسن يصلي فأرسل إليه فقال: يا أبا إسحاق إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلي، قال أبو إسحاق: أما أنا والله فإنني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحرمت عنها، أصلي صلاة العشاء فأركد في الأوليين وأخف في الأخيرين قال: ذاك الظن بك يا أبا إسحاق، فأرسل معه رجلاً أو رجلاً إلى الكوفة فسأل عنه أهل الكوفة ولم يدع مسجداً إلا سأل عنه ويثنون معروفاً حتى دخل مسجداً لبني عبس فقام رجل منهم يقال له أسامة بن قتادة يكنى أبا سعد قال: أما إذ نشدتنا فإن سعداً كان لا يسير بالسرية ولا يقسم بالسوية ولا يعدل في القضية، قال سعد: أما والله لأدعون بثلاث: اللهم إن كان عبدك هذا كاذباً قام رياءً وسمعةً فأطل عمره، وأطل فقره، وعرضه بالفتن، وكان بعد إذا سئل يقول: شيخ كبير مفتون أصابني دعوة سعد، قال عبد الملك: فأنا رأيت بعد قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر وإنه ليتعرض

لِلْجَوَارِي فِي الطَّرْقِ يَغْمِزُهُنَّ<sup>(١)</sup>، خاصة نحن في زمن تهدم فيه الدول وتهزم من خلال الإعلام، والناس يساقون إلى الفتن بوسائل وأساليب شتى، وقد قال ابن القيم: (كمال العبد وصلاحه يتخلف عنه من أحد جهتين: إما أن تكون طبيعة نفسه يابسة قاسية غير ليّنة، ولا منقادة ولا قابلة لما به كمالها وفلاحها، وإما أن تكون ليّنة منقادة سلسلة القياد، لكنها غير ثابتة على ذلك بل سريعة الانتقال عنه، كثيرة التقلب، فمتى رزق العبد انقياداً للحق وثباتاً عليه، فقد بشر بكل خير، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء)<sup>(٢)</sup>.

٥. تربية الفرد على العدل في القول والفعل، وتجنب الظلم بكل أنواعه فلا غش ولا كذب، ولا غيبة ولا نميمة، ولا سب ولا طعن، ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيٍ مَا أَكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

فهذه بعض الجوانب التي ذكرتها أمثلة لا للحصر والله المستعان، والموضوع واسع، وكل من قرأه من الدعاة والتربويين والمصلحين ستتحرك في كوامن نفسه أشياء، وتتجدد عنده أفكار، هذا ما قصدته حتى نصل بفكرنا التربوي المعاصر إلى مستوى من النضوج، نؤمن من خلاله مسيرة أمتنا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلاة، حديث رقم: (٧١٣).

(٢) مفتاح دار السعادة (ص: ٢٠٥).

العظيمة؛ لأن مثل هذا الموضوع يحتاج أن تفرد له مراكز أبحاث.

### تاسعاً: التعامل الشرعي مع المنحرفين فكرياً

هذا المبدأ أرساه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من خلال معالجته للانحراف الفكري الذي سببه الغلو، فعندما قال له خالد في رواية عمر: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا أُضْرِبُ عُنُقَهُ، قَالَ: (لَا، لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ يُصَلِّيَ)، فاحتمل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أذاه؛ لأنَّه في داخل جماعة المسلمين، ولهذا حتى الخوارج عندما شرع الإسلام قتالهم شرعه إذا قاتلوا وخرجوا عن الجماعة، (ولم يكفّرهم علي بن أبي طالب، وسعد بن أبي وقاص وغيرهما من الصحابة، بل جعلوهم مسلمين مع قتالهم، ولم يقاتلهم علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حتى سفكوا الدم الحرام، وأغاروا على أموال المسلمين، فقاتلهم لدفع ظلمهم وبغيهم لا لأنهم كفار، ولهذا لم يُسب حريمهم، ولم يغنم أموالهم)<sup>(١)</sup>، قال الإمام النووي في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَئِنْ أَدْرَكْتَهُمْ لَأَقْتُلَنَّهِنَّ قَتْلَ ثَمُودَ): (هذا تصريح بوجود قتال الخوارج والبغاة وهو إجماع العلماء، قال القاضي عياض: أجمع العلماء على أن الخوارج وأشباههم من أهل البدع والبغي متى خرجوا على الإمام، وخالفوا رأي الجماعة، وشقوا العصا، وجب قتالهم بعد إنذارهم والاعتذار إليهم، قال الله تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا آلَ تَيْبٍ حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩]، لكن لا يجهز على جريحهم، ولا يتبع منهزمهم، ولا يقتل أسيرهم، ولا تباح أموالهم، وما لم يخرجوا عن الطاعة، وينتصبوا للحرب لا يقاتلون؛

(١) مجموع الفتاوى (٣ / ٢٨٢).

بل يوعظون ويستتابون من بدعتهم وباطلهم<sup>(١)</sup>.

الناظر إلى فقه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في معالجة انحراف الخوارج الفكري في عدم السماح بقتل ذي الخويصرة في موضع، والأخذ بظاهر أمره، والإذن بقتالهم في موضع آخر، يرى هذا المبدأ العظيم، مبدأ عظمة حرمة دم المسلم وإن كان منحرفاً، ولا يكفر وإن كفر غيره؛ لأن الكفر حكم شرعي لا يطلق جزافاً، وأن العمل على ردهم إلى الحق ينبغي أن يكون من أعظم الأولويات، ولا بد أن يتولى علاجهم من هو مؤهل للعلاج بعلمه الغزير، وسيرته الحسنة، واحتساب الأجر في ذلك عند الله، وإن توسيع الظنون بالناس وأخذهم بدون بينات، أو استخدام أساليب غير مشروعة لا يوصل لعلاج؛ لأن الخير فيما شرعه الله، وهو أعلم وأرحم بعباده من أنفسهم.



(١) شرح صحيح مسلم (٤ / ١٤٩ - ١٥٠).





## النتائج والتوصيات

### أ. نتائج البحث:

من خلال الدراسة توصل الباحث إلى النتائج التالية:

١- خطورة الانحراف الفكري بما يستدعي أن تخصص له مراكز أبحاث، ويعتني بدراسته العلماء والتربويون والدعاة ونحوهم؛ وذلك لتوفر الدواعي والأسباب اليوم لانتشاره، ولما يترتب عليه من أضرار بليغة، تؤثر على الفرد والمجتمع والأمة، في وحدتها وأمنها، وعلمائها وحكامها، وشبابها وقدراتها البشرية والمادية، فماذا بقي بعد ذلك؟!

٢- الانحراف الفكري الذي سببه الغلو والتشدد أمر قديم، لا يصح نسبته لأهل كتاب، أو فرقة معينة، وهو قد ظهرت بوادره حتى في فجر الإسلام، والنبى ﷺ أول من تصدى له وحذّر منه، ووضع المعالجات الكفيلة بدحره، فهديه في المعالجة هو أكمل الهدى وأحسنه.

٣- تضافر الأدلة الكثيرة من الكتاب والسنة التي تنهى عن الانحراف الفكري وتبين خطره وضلاله، وتوضح موقف الإسلام الحاسم من كل انحراف ولو كان يسيراً، وأنه لا يمتّ إلى الدين بشيء، كما توضح أهمية التصدي له، وكشف ما فيه من باطل وانحراف عن الصراط المستقيم الذي يوصل لسعادة الدارين، وأن الإسلام بريء من كل فكر منحرف.

٤- إنَّ المعالجات الفكرية التي لا تنبع من هدي الكتاب والسنة، وفهم سلف هذه الأمة، لا تتعدى أن تكون مسكّنات، سرعان ما يتكرر معها الداء وبصورة أشد، واستقراء المعالجات وفق هدى القرآن ونور النبوة هو هدى كافٍ، ودواء شافٍ بإذن الله، كما لا بد أن يتم العلاج على يد العلماء الربانيين، والدعاة المصلحين، وممثلي الدولة العقلاء الصالحين، على أن يلتزم بضوابط الشرع في الحُكم عليهم، والتعامل معهم، وفي طريقة مجادلتهم، والعمل الجاد لإصلاحهم، ومنع خطرهم على الفرد والجماعة.

٥- إنَّ الأصل في منهج الإسلام الاستقامة والوسطية، والاعتدال والتوازن، والناس في تمسكهم به إما مستقيم عليه؛ وهؤلاء خيار الخلق وأحبهم إلى الله تعالى، وإما غالٍ متجاوز له، أو جافٍ مفرطٍ في حدوده، وكلاهما منحرف وعاصٍ؛ كما أن الأصل في الدين اليسر، وأن تقصّد المشقة في التدينّ خلاف لما شرع الله وحثّ عليه، وأنّ السلامة في الاستقامة على التزام ما شرعه الله لعباده.

٦- لا بد من التفريق بين مبادئ الإسلام وقيمه المستقيمة المعتدلة، وبين من ينتمون إليه ويتسبون له ولكنهم ينحرفون عنه فكرياً، وبهذا يكون الحُكم على الإسلام من خلال سلوك بعض أفراد الذين لا يستقيمون عليه؛ نوعاً من الظلم، ومن ينتمون إليه وينحرفون عنه يكونوا قد وقعوا في ظلمين: ظلم أنفسهم بحرمانها نعمة الهداية، وظلم غيرهم بأن صدوهم وفتنوهم عن تقبّل الدين الحق؛ لأنهم أظهروا الدين بخلاف ما يريد الله تعالى.

٧- لن يتحقق الأمن الاجتماعي، أو السياسي، أو الاقتصادي ونحو ذلك، إلا إذا تحقق أمن العقول من الانحراف الفكري؛ الذي لا يكون إلا بالاستقامة على شرع الله القويم، وأن الدول التي لا تنفق على أمنها الفكري قليلاً تنفق أضعافه في العمل الإجرائي الأمني، ولا تحقق التقدم الذي تنشده إلا من خلال الأمن الفكري.

٨- ومن خلال استقراء أدلة الكتاب والسنة توصل الباحث إلى أبرز أسباب الانحراف الفكري، ويمكن تلخيصها في الآتي:

- العدول عن الكتاب والسنة، والتحاكم لهما، والالتزام بما شرعه الله فيهما، سواء أكان في أصل ما شرع، أو في مقداره وكيفيته.
- غياب الفقه السليم، والتصور الصحيح للإسلام؛ الذي لا يكون إلا وفق ما كان عليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، وسلف هذه الأمة الأخيار.
- إرادة الخير دون علم وفقه سليم، ومعرفة بمدخل الشيطان.
- الجهل بوسطية الإسلام ويسره وسماحته، خاصة وسط الشباب.
- الأخذ الجزئي للدين، وعدم الموازنة بين كافة الحقوق والواجبات.
- الزهد في العلماء الربانيين، والتعلم على أيديهم، والرجوع إليهم فيما يشكل، مع التشكيك في علمهم ونياتهم.
- التصدر للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دون فقه بالشرع، وكيفية الأمر والنهي.

- القصور والتقصير في التربية والتعليم من قبل المؤسسات التربوية الرسمية وغيرها؛ بما يزكي الوعي الديني السليم.
  - غياب الوعي بعواقب الانحراف الفكري وخطره على الفرد والجماعة، وما يترتب عليه من أضرار بليغة.
  - غياب الوعي بحرمة المسلم في دمه وماله وعرضه، وحرمة الجماعة المسلمة في وحدتها ومكتسباتها، مما تسبب في ضعف روح الانتماء للأمة، والولاء للمؤمنين.
  - الجهل بحقوق غير المسلمين، والواجب تجاههم.
  - إهمال قيم الأخلاق في التربية والتعليم التي يعرف من خلالها الفرد مكانته، وواجباته، وحقوقه في الحياة.
  - التعامل غير الشرعي في معالجة الانحراف الفكري، أو الاستعانة بأناس مغضوب عليهم، وترك الاستعانة -بعد الله تعالى- بالعلماء الصالحين لمواجهتهم.
- ٩- كما توصل الباحث من خلال البحث إلى ما يراه أفضل الطرق لعلاج الانحراف الفكري، وذلك بتعليم المفاهيم الصحيحة عن الإسلام من خلال مناهج التعليم، والبرامج الإعلامية، والدعوية، والتزام كل من يمارس التربية في البيت، أو المسجد، أو المؤسسات الخاصة بذلك، وذلك من خلال القيام بما يلي:

أ- إبراز أهمية لزوم الكتاب والسنة، والتمسك بهما، وعدم التقدم عليهما، والخروج عن حدودهما، منهجاً للفرد والجماعة، والحاكم

والمحكوم، في تسليم ورضا في كل ما يتقرب به العبد إلى الله **عَزَّوَجَلَّ**، سواء أكان ذلك في أصل ما شرع، أو في مقداره وكيفيته، وهو عاصم من هوى النفس ونزعات الشياطين، فإن اعتقاد البعض بأن معالجة الانحراف الفكري يكون بالتخلي عن الدين الحق، أو تخفيف جرعاته من أعظم أبواب الضلال.

**ب-** نشر الفقه السليم للكتاب والسنة على فهم السلف الصالح، على يد العلماء الربانيين، مع معرفة القواعد التي قَعَّدها العلماء للوصول لفهم مستقيم، فإنَّ غياب الفهم السليم للدين من أعظم أسباب الفتن والبلايا.

**ج-** الإعداد الخاص للعلماء والدعاة للقيام بواجبهم في هداية الناس للطريق المستقيم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتوحيد الأمة، وجمع الكلمة، ورد الأفكار المنحرفة في مهدها قبل انتشارها، وذلك لأن ترك التربية لغير العلماء الربانيين من أعظم أسباب ظهور الأفكار المنحرفة، فلا سبيل لمجتمع قويم بدون علم بالدين الصحيح، ومرتب فقيه.

**د-** تعليم الحقوق التي من أبرزها:

١. حق الجماعة المسلمة وحاكمها: المتمثل لزوم جماعتهم، وإمامهم، وموالاتهم، وتوعيتهم بعواقب الخروج عليهم وضرر زرع العداوة والبغضاء بينهم، وعدم جواز الخروج على الحاكم المسلم إلا إذا رأى الإنسان كفراً بواحا له من الله فيه برهان، وقدّرت بعد ذلك المصالح والمفاسد.

٢. حق المسلمين، وحرمة دمائهم وأعراضهم وأموالهم، وعدم جواز تكفير المسلم منهم بذنب فعله، أو خطأ ارتكبه، ما لم يستحله.



٣- حق غير المسلم، خاصة المعاهد منهم، ومنهج الإسلام في التعامل معهم القائم على الرحمة والعدل، وجعل الغاية هدايتهم لا قتلهم.

ه- تعليم وسطية الإسلام ومنهجه القائم على التوسط في الأمور كلها، وأنه من أصول هذا الدين العظيم، وهو أقوى عامل من عوامل الثبات على الحق ونصرتة.

و- إبراز سماحة الإسلام ويسره، وأن الأصل في التدين تغليب جانب اليسر على العسر، وأن تقصد العسر في الأمور وذلك من خلال الزيادة على ما شرع الله، أو تحريم ما أحل الله من الطيبات ونحوها ليس مما يحبه الله ويرضاه، وأنه لن يشادّ الدين أحد إلا غلبه.

ز- تعليم الشمولية في أخذ الإسلام، والعمل للدخول في السلم كافة حسب القدرة والاستطاعة، مع الموازنة بين كافة الحقوق والواجبات، وهو عاصم من عواصم الانحراف.

ح- تعليم الأخلاق الإسلامية، والتخلق بها في الناس، والسعي لإظهارها في الحياة، والتقرب إلى الله من خلال التخلق بها، فإن من أسباب إهدار حقوق الآخرين، وإيذائهم، وزرع الحقد والعداوات بينهم؛ فقد القيم والأخلاق الإسلامية الكريمة.

ط- التعامل المنضبط بفقهاء الشرع مع المنحرفين، من الذي يحاورهم؟ ومن الذي أذن الشرع في قتاله وقتله؟ ومن الذي يتولى إقامة حكم الله فيهم؟ ونحو ذلك.

## ب. توصيات البحث:

ومن خلال النتائج السابقة التي توصل إليها الباحث يوصي بما يلي:

١- المراجعة المستمرة للمناهج التربوية، ومن يقومون بواجب التربية والتعليم، وما يقدم للمجتمع من خلال الخطاب الدعوي ووسائل الإعلام، هل هي داعمة لخط الاستقامة والاعتدال؟، أو داعمة لأي نوع من أنواع الانحراف؟ وذلك من خلال إنشاء مؤسسة ترعى الأمن الفكري للمجتمع.

٢- إنشاء وتنشيط مؤسسات رعاية الشباب وفق برامج واضحة الأهداف، مُحَكِّمة الأفكار، وفق قيادة يثق الشباب في دينهم وقدراتهم وجديتهم، ويجدون عندهم القدوة الصالحة، والفكر المستقيم، مع الرعاية الجادة والمستمرة لهم فكرياً وتربوياً من قِبَل الأسرة، ومؤسسات المجتمع، والعمل على الاستفادة من طاقاتهم فيما هو نافع، فلا بد للعلماء من جهود بارزة في تربية الشباب على الدين الحق، والسلوك المستقيم، وللحكام من أثر بارز في معرفة همومهم، والعمل على حلها بصورة جادة، تزيد من ثقة الشباب في حكاهم.

٣- قيام المؤسسات التربوية ووسائل الإعلام بعمل واسع في توعية أفراد الأمة، بصورة مستمرة عن أهمية المنهج الوسط في الدين، مع التحذير المستمر لهم عن عواقب الانحراف؛ لأن التذكير بالحق، والتحذير من الباطل بصورة مستمرة، مطلب شرعي.

٤- إجراء دراسات علمية متكاملة عن أسباب هذه الظاهرة وعلاجها؛

من خلال توسعة هذه الدراسات لتشمل الأسباب النفسية والاجتماعية والأمنية ونحو ذلك، مما قد يختلف باختلاف الزمان والمكان والحال.

٥- إبراز العلماء الربانيين، والعمل لزيادة ثقة الأمة بهم، والرجوع إليهم، والالتفاف حولهم، وعدم ترك البلاد والعباد دون وجود علماء يرجعون إليهم فيما يشكل عليهم، فإن كثيراً من الدول لا تبرز إلا أهل الغناء والطرب، ولا عبي الكرة، وأصحاب الأموال والجاه، وتعلق بهم القلوب، ولا تظهر أهل العلم والفضل في المكانة التي تليق بهم.

٦- دعاء الله والاستعانة به للثبات على الحق، وحفظ شباب الأمة، وتجنب البلاد والعباد الفتن ما ظهر منها وما بطن، فإن كثيراً من الذين يحاربون هذا الفكر؛ يهملون أقوى سلاح في مواجهة أعداء الأمة، وهو سلاح الدعاء.

تم بحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات

في: ١/٦/١٤٢٧هـ

وأعيد طباعته ونشره للمرة الثالثة في: ١١/١١/١٤٤١هـ

## فهرس المراجع

١. القرآن الكريم.
٢. الأدب المفرد لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، ط: مكتبة الحياة، بيروت، بدون تاريخ.
٣. الاستقامة، لأبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، ط: مؤسسة قرطبة، الأندلس ط ٢: بدون تاريخ.
٤. الاعتصام، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي، ط: دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.
٥. إعلام الموقعين عن رب العالمين، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، أبو عبيدة مشهور حسن آل سليمان، ط: دار ابن الجوزي، الدمام، ط: ١٩٧٣ م.
٦. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية، ط: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، ط ١: ١٤٢٣ هـ.
٧. البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، طبعة جديدة بعناية زهير جعيد، ط: دار الفكر، بيروت، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
٨. تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، لأبي إسحاق إبراهيم بن أبي الفضل سعد الله بن جماعة، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

٩. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، المكتب الإسلامي، بيروت، ط: ٦: ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
١٠. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط: مؤسسة الرسالة بيروت، ط: ١: ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
١١. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد عبد الرزاق البكر، ومحمد عادل محمد، ومحمد عبد اللطيف خلف، ومحمود مرسي عبد الحميد، ط: دار السلام، القاهرة، ط: ١: ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م.
١٢. جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في تحصيله، للإمام المحدث أبي عمر يوسف بن عبد البر، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.
١٣. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق محمد إبراهيم الحنفاوي، ومحمود حامد عثمان، ط: دار الحديث، القاهرة ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
١٤. جذور الغلو، لعبد الرحمن بن محمد علي الهرفي، ط: دار ابن الجوزي، بيروت، ط: ١: ١٤٢٥ هـ.
١٥. حجة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لمحمد ناصر الدين الألباني، ط: المكتب الإسلامي، بيروت، ط: ٧: ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
١٦. حقيقة الإرهاب، لعبد الله بن محمد العمرو، ط: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، ط: ١: ١٤٢٥ هـ.



١٧. روضة المحبين ونزهة المشتاقين، للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق سمير مصطفى رباب، ط: المكتبة العصرية بيروت ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
١٨. زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ط: المكتب الإسلامي، بيروت، ط: ٤: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
١٩. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها، لمحمد ناصر الدين الألباني، ط: المكتب الإسلامي، دمشق، ١٤٠٥ هـ.
٢٠. سنن الدارمي، للإمام أبي عبد الله عبد الرحمن بن بهرام الدارمي، ط: دار الكتاب العربي، بيروت، ط: ١٩٨٧ م.
٢١. سنن ابن ماجه، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: ١٩٧٥ م.
٢٢. سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.
٢٣. سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة، دار الفكر، بيروت، ط: ١٩٨٣ م.
٢٤. سنن النسائي، للحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي، ط: دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط: ١٩٨٦ م.
٢٥. السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، لمحمد بن علي الشوكاني، تحقيق محمد إبراهيم زايد، ط: دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥ هـ.

٢٦. شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، للعلامة صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، ط١: ١٤١٨هـ.

٢٧. شعب الإيمان، لأحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السيد بسيوني، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١: ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٢٨. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، لعلي بن بلبان الفارسي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرنؤوط، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣: ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٢٩. صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، لمحمد ناصر الدين الألباني، ط: دار الصديق، الجليل، المملكة العربية السعودية ط٢: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٣٠. صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، دار القلم، بيروت، ط: ١٩٧٨م.

٣١. صحيح الترغيب والترهيب، لمحمد ناصر الدين الألباني، ط: مكتبة المعارف، الرياض، ط١: ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٣٢. صحيح الجامع الصغير وزيادته، لمحمد ناصر الدين الألباني، ط: المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣: ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٣٣. صحيح سنن ابن ماجه، لمحمد ناصر الدين الألباني، ط: دار المعارف، الرياض ط١: ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٣٤. صحيح سنن أبي داود، لمحمد ناصر الدين الألباني، ط: دار المعارف، الرياض، ط٢: ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٣٥. صحيح سنن الترمذي، لمحمد ناصر الدين الألباني، ط: دار المعارف، الرياض، ط٢: ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.

٣٦. صحيح سنن النسائي، لمحمد ناصر الدين الألباني، ط: دار المعارف، الرياض، ط١: ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

٣٧. صحيح مسلم بشرح النووي، للإمام يحيى بن شرف النووي، ط: دار الكتب العلمية. بيروت، ط١: ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

٣٨. صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ط: إحياء التراث العربي، بيروت، ط: ١٩٧٢ م.

٣٩. فتح الباري، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط: دار السلام، الرياض، ط١: ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

٤٠. الفتح الرباني لترقيم مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، مع مختصر شرح الأمامي من أسرار الفتح الرباني، لأحمد عبد الرحمن البناء، ط: دار الحديث، القاهرة ط١: بدون تاريخ.

٤١. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق الدكتور عبد الرحمن عميرة، ط: دار الوفاء، المنصورة، ط٢: ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

٤٢. في ظلال القرآن، لسيد قطب، ط: دار الشروق، القاهرة، ط٢٥: ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.

٤٣. القاموس المحيط، للإمام مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الفيروز أبادي، ط: مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ط: ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

٤٤. القواعد الكلية والضوابط الفقهية في الشريعة الإسلامية، للدكتور محمد عثمان بشير، ط: دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط ١: ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٤٥. كتاب الروح، للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق عصام الدين الصّبابطي، ط: دار الحديث، القاهرة ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٤٦. الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لجار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق وتعليق ودراسة الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، ط: مكتبة العبيكان، الرياض، ط ١: ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.

٤٧. لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفرقي، ط: دار صادر، بيروت، ط ١: بدون تاريخ.

٤٨. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، بتحريр الحافظين: العراقي وابن حجر، ط: دار الفكر، بيروت، ط: ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٤٩. مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن القاسم، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة، ط: ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.

٥٠. محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين القاسمي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.

٥١. مختار الصحاح، للإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرّازي، ط: مكتبة لبنان، بيروت، ط: ١٩٨٧ م.

٥٢. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ط: دار الكتاب العربي، ط ١٤١٠: ١هـ، و ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢: ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
٥٣. المستدرک علی الصحیحین، للإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري، ط: دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.
٥٤. المسند، للإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، ط: المكتب الإسلامي بيروت، ط: ١٩٨٥ م.
٥٥. مشكلة الغلو في الدين في العصر الحديث: الأسباب - الآثار - العلاج، لعبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢: ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
٥٦. المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير، إعداد جماعة من العلماء، بإشراف صفي الرحمن المباركفوري، ط: دار السلام، الرياض، ط ١: ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
٥٧. المعجم الوسيط، قام بإخراج طبعته: د. إبراهيم أنيس، ود. عبد الحلیم منتصر، وعطية الصوالحي، ومحمد خلف الله أحمد، وأشرف على الطبعة: حسن علي عطية، ومحمد شوقي الأمين، ط: المكتبة الإسلامية، إستانبول، بدون تاريخ.
٥٨. معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط: دار الجيل، بيروت، ط ١: ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.



٥٩. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة، للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ط: دار ابن حزم، بيروت، ط١: ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
٦٠. الموافقات في أصول الشريعة، لإبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي، تحقيق: عبد المنعم إبراهيم، ط: مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة، ط١: ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
٦١. الموطأ، للإمام مالك بن أنس الأصبحي، تحقيق: خليل مأمون شيخا، ط: دار المعرفة، بيروت، ط٢: ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
٦٢. نحو ثقافة إسلامية أصيلة، للدكتور سليمان عبد الله الأشقر، ط: دار النفائس، عمان، ط١٢: ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
٦٣. الوسطية في القرآن الكريم، للدكتور علي محمد الصلابي، ط: مكتبة الصحابة، الإمارات الشارقة، ط١: ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.



## فهرس الموضوعات

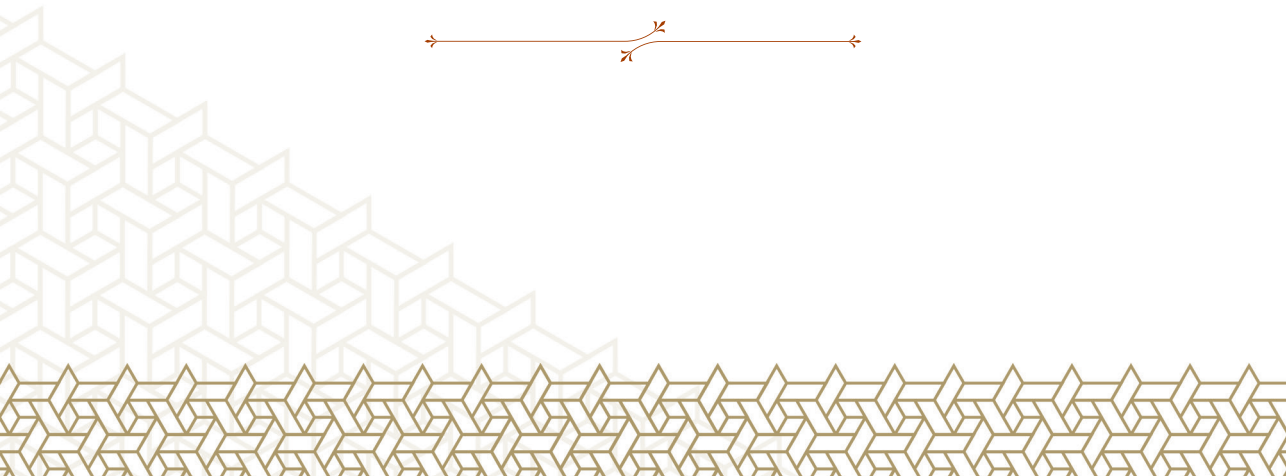
- ملخص البحث ..... ٥
- المقدمة ..... ٧
- أولاً: دواعي البحث ..... ٧
- ثانياً: مشكلة البحث ..... ١١
- ثالثاً: أسئلة البحث ..... ١٢
- رابعاً: أهداف البحث ..... ١٢
- خامساً: حدود البحث ..... ١٢
- سادساً: منهج البحث وأدواته ..... ١٣
- سابعاً: الدراسات السابقة ..... ١٣
- ثامناً: مصطلحات الدراسة ..... ١٦
- تاسعاً: هيكل البحث ..... ١٩
- المبحث الأول: مفهوم الانحراف الفكري ..... ٢١
- المبحث الثاني: بداية الانحراف الفكري وتصدي النبي ﷺ له ..... ٢٦
- المبحث الثالث: النهي عن الانحراف الفكري ..... ٢٨
- ١- الأمر بلزوم الاستقامة وبيان عاقبتها: ..... ٢٨
- ٢- التحذير من تعدي حدود الله وبيان عاقبته: ..... ٢٩

- ٣- بيان أن الدين الحق التزام ما شرعه الله، وتجاوزه اعتداء: .... ٣٣
- ٤- بيان أن التكلف والزيادة على الشرع خلاف منهج المرسلين: ٣٤
- ٥- تعليم العبد دعاء الله الهداية إلى الصراط المستقيم: ..... ٣٦
- ٦- التحذير من الغلو من خلال توجيه الخطاب لأهل الكتاب: . ٣٦

### المبحث الرابع: أسباب الانحراف الفكري ..... ٣٩

- أولاً: العدول عن الكتاب والسنة كمصدرين للتشريع ..... ٤٠
- ثانياً: غياب الفقه السليم والتصور الصحيح للإسلام ..... ٤١
- ثالثاً: إرادة الخير دون فقه صحيح ومعرفة بمدخل الشيطان .... ٤٢
- رابعاً: الجهل بوسطية الإسلام ويسره وسماحته ..... ٤٣
- خامساً: الأخذ الجزئي للدين وعدم الموازنة ..... ٤٤
- سادساً: الزهد في العلماء الربانيين والطعن فيهم ..... ٤٥
- سابعاً: التصدر للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ..... ٤٧
- ثامناً: القصور والتقصير في التربية ..... ٤٩
- تاسعاً: غياب الوعي بعواقب الانحراف الفكري ..... ٥٠
- عاشراً: غياب الوعي بحرمة المسلم وحرمة جماعتهم ..... ٥٠
- الحادي عشر: الجهل بحقوق غير المسلمين والواجب تجاههم ٥١
- الثاني عشر: إهمال قيم الأخلاق في التربية ..... ٥٢
- الثالث عشر: التعامل غير الشرعي في معالجة المنحرف فكرياً ... ٥٣

- المبحث الخامس: علاج الانحراف الفكري ..... ٥٥
- أولاً: إبراز أهمية لزوم الكتاب والسنة وعدم التقدّم عليهما ..... ٥٦
- ثانياً: نشر الفقه السليم للإسلام، وإبراز مقاصد التشريع ..... ٦١
- ثالثاً: الإعداد الخاص للدعاة والعلماء للقيام بواجبهم ..... ٦٦
- رابعاً: تعليم الحقوق ..... ٦٨
- خامساً: تعليم التوسط في الأمور التي هي منهج المسلم ..... ٨٠
- سادساً: إبراز يسر هذا الدين، وتعليمه كمنهج في الدين الحق: . ٨٤
- سابعاً: تعليم الشمولية في أخذ الإسلام ..... ٨٩
- ثامناً: تعليم الأخلاق الإسلامية، والتخلق بها مع الناس ..... ٩٢
- تاسعاً: التعامل الشرعي مع المنحرفين فكرياً ..... ٩٦
- النتائج والتوصيات ..... ٩٩
- أ. نتائج البحث: ..... ٩٩
- ب. توصيات البحث: ..... ١٠٥
- فهرس المراجع ..... ١٠٧
- فهرس الموضوعات ..... ١١٥





مؤسسة النبا العظيم

alnpaa.com  + 966 550427304 

    alnpaa@gmail.com 